جامعة تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية – شعبة علم الاجتماع–

مقياس: **دراسات حول علوم الاجتماع العمل بالجزائر / ماستر2 – تخصص تنظيم وعمل**

أستاذ المادة: بشير محمد

السداسي الأول

محاضرة: الأولى والثانية(02/01)

مقدمة:

نود في البداية الإشارة إلى أن تأليف هذا الكتاب[1] جاء في الأساس استجابة لتسهيل مهمة تدريس الزملاء، أساتذة علم الاجتماع التنظيمات والعمل، والإسهام في تكوين طلبتنا في هذا التخصص بعامة والمشرفين على الوحدة البيداغوجية –المقياس– علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر بخاصة، المدرجة في مسار تكوين ماستر 2 بعد المواءمة التي تمت مؤخرا في أفريل 2017 بجامعة«منتوري» قسنطينة. إن هذه الجلسات التي كنا أحد المشاركين والمساهمين فيها والتي أتاحت لنا شخصيا فرصة اقتراح هذا المقياس، والموافقة عليه من طرف الخبراء الذين نشكرهم على هذا الفعل البيداغوجي بامتياز حسب تقديرنا.

جدير القول إن مضمون هذا الكتاب يسمو(Transcende) بطريقة أو بأخرى على مسار التكوين برمته، ومن ثم فهو يقدم خدمة للجميع– بعيدا عن كل ادعاء– وكذا الوحدات المرتبطة بالمنهجية والابستيمولوجيا.لقد انصب اختيارنا على هذه المراجع من

[1] -علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر:الرعيل الأول،دار كنوز للنشر والتوزيع ،2018.

باب الاكتفاء بنماذج فقط. فنحن على علم أن هناك أبحاث أخرى متميزة اهتمت بالحقل نفسه، ولكن استغنينا عنها مؤقتا ريثما تتاح الفرصة ثانية قد تكون في طبعة ثانية– ناهيك عن الأبحاث التي لم نكن على علم بها– نغذي بها هذا العمل الذي هو بين أيدينا ونتممه حتى يكون في صورته النهائية أو أقرب إلى الهدف المنشود.إن تقديم العمل بهذه الكيفية استجابة لأمر استعجالي، لأن الوحدة البيداغوجية بالمواءمة ستصبح سارية المفعول ابتداءً من السنة الجامعية 2019/2018.

يرجع اهتمامنا الشخصي في إنجاز هذا البحث إلى اعتقادنا بارتباطه الوثيق بما اعتبرناه «مسؤولية أدبية»، وحملناها على عاتقنا منذ الوهلة الأولى. تبقى هذه المراجع التي اهتمينا بها إنجازات علمية لباحثين نعتبرهم بمثابة مرجعيات، بل معالم بالنسبة للبعض منهم– الرعيل الأول [2]– اذ تبقى فكرتنا القاعدية محاولة تقريب قدر الإمكان لهؤلاء الباحثين الاستثنائيين إلى المهتمين بمجال علم الإجتماع –، فعلى سبيل المثال وفي دراسة لإنجاز أطروحة دكتوراه كان لنا شرف الإشراف عليها ومتابعتها بالصفة اللصيقة أوضحت أن جل الأعمال وهي أطروحات دكتوراه نوقشت بجامعة تلمسان ووهران، اعتمد أصحابها على هذه المراجع التي أضحت لا مناص منها.

وفي الاتجاه نفسه نؤكد على أن هؤلاء الذين تم اختيارهم، اعتمدوا على بعضهم البعض إما بالتبني أو المناقشة – النقد البناء–، نقول مرجعيات فكرية ونحن مقتنعين لدرجة لا تترك مجالا للشك إذ أن الدراسة التحليلية الأولى «مركب الحديد والصلب»– التي كانت بطلب من وزارة الصناعة آنذاك– اعتبرت دراسة مؤسسة وتأصيلية لعلم الاجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر، ذلك ما أكد عليه Sélim Monique/Bassin Laurent

[2]لقد وضعنا حدود التفرقة بين الرعيلين لا على أساس السن بل على أساس مرحلة التكوين الجامعي ومن ثم على قيم ومعايير التنشئة الاجتماعية السائد في مرحلتي الاستعمار الفرنسي وفترة الستينيات بينما اعتبرنا الرعيل الثاني من تكونوا مع إصلاح برنامج التعليم العالي ابتداء من سنة 1972.

حين امتثلا لما ذهب إليه «سعيد شيخي» نفسه، معتبرين أنها دراسة مؤسسة في الجزائر وكيف أن «جمال غريد» وغيره، برهنوا في الثمانينات على مركزية العمل في العقد الاجتماعي الشعبوي الذي تبناه النظام الجزائري بعد الاستقلال[3]؛ هذه الدراسة التي قال عنها «جمال غريد» نفسه، أنها مؤسسة من جهة كما، أنها اعتمدت من جهة أخرى من طرف الباحثين الثلاثة – علي الكنز، جمال غريد، سعيد شيخي– لإنجاز أطروحاتهم لنيل شهادة دكتوراه الدولة بجامعات فرنسية.

وهنا نفتح قوس للقول أن الدراسات التطبيقية (les études appliquées) من هذا القبيل والتي تناولت الكيفيات التي أظهرها الأجراء بخصوص وضعيتهم، مما تطلب من هؤلاء الباحثين اتخاذ موقف استدعى منهجا ارتكز على جمع الخطابات المبدئية، أي تلك الخطابات المترجمة في الممارسات الفعلية أو التي افترض الأجراء اتباعها و لو من الناحية النظرية فقط أي تلك التي بقيت على مستوى التصورات.

إن ما يهمنا من وراء إثارة هذه المسألة، هي تلك المواقف المتباينة حول هذه المسألة، ومع هذا نؤكد مع Masson. Ph حين قال:« يعد النقاش الجاري حول ماهية البحث التطبيقي أو النظري في علم الاجتماع، نقاش متكرر لأن الإطار الذي هو مطروح ضمنه لا يزال مبهم. ما هي الحدود الفاصلة بين استقلالية الباحث وتبعيته؟، إن مثل هذه المسألة يصعب الحزم فيها... ويضيف أن «ميشال كروزيه» يعد من بين الذين ذهبوا في اتجاه أن علم الاجتماع، يمكنه تقديم الخبرة للسياسيين مسيري المؤسسات والإدارات»[4].

---

[3] BAZIN Laurent/ SELIM Monique., « Travail, sexe et État. Une démarche anthropologique»variations [En ligne], 17 | 2012, mis en ligne le 15 octobre 2012, consulté le 07 novembre 2016. URL : http://variations.revues.org/360 ; DOI : 10.4000/variations.360

[4] - MASSON Ph., Faire de la sociologie : les grandes enquêtes Françaises depuis 1945, Ed.la découverte, 2008, p67.

لقد كانت رغبتنا في وضع مضامين هذه المعرفة السوسيولوجية لباحثين محليين في من الواضح أننا لم نطمح إلى تقييم هذه الإنجازات العلمية من خلال مساءلتها الابستيمولوجية – تركنا ذلك للقارئ لكي يستنتج لوحده، وحسب قدراته الذاتية ما يمكن استنتاجه من هذه الأعمال بعامة ومن المادة العلمية للقسم الثاني لهذا العمل بخاصة– فكل ما حاولنا القيام به يتمثل في الوصول إلى وضع لبنة أولى في العملية التراكمية من خلال هذه الأبحاث، لأننا مقتنعين أن أي تقييم لا يتم على أساس النظر في إنتاج المعرفة في حد ذاتها بقدر ما يتمثل في طرح السؤال أي ليس في النتائج اليقينية.

يفضل أن نتمتع بفكر نقدي غير أنه من غير المعقول اختزال تلك المعارف العلمية التي هي بمثابة حقل كامل في رأي شخصي بسيط، ونقابله برأي شخصي لأن النقد يتطلب الفحص العميق للمراجع والمناهج والبراهين التي يقدمها الباحثون.فعلا هناك فرق بين الانطباع – الحس المشترك– والبرهان العلمي الذي يرتكز عليه في إنتاج معرفة في ظل شبكة تحليل متكاملة.

حاولنا فيه تلخيص وعرض أهم الأفكار التي وردت في الأعمال التي انصب اهتمامنا عليها، وكما توصل إليها أصحابها، بعد عملية التفكيك وإعادة التركيب التي قمنا بها ونحن تراودنا فكرة الخيط المنير لتلك الدراسات في هذه العملية التركيبية، بمعنى محاولة الولوج إلى روح هذه الأبحاث، إذ كنا ملهمين(inspiré) بما خلصت إليه بعض الدراسات التالية:

دراسة «مركب الحديد والصلب»SNS:

لقد وقفت هذه الدراسة على ما كان يسمى آنذاك بالمقاومة الثقافية، أي تقديم معرفة علمية مقبولة للميدان السوسيو ثقافي من منظور منظور يقترح فهم هذه الأخيرة كترجمة للتناقضات بين الفئات المكلفة بالتصنيع في هرم السلطة داخل المؤسسة الصناعية.

علي الكنز: يخلص إلى اقتراح رؤية جديدة للتعامل مع إشكالية التنمية في الجزائر، إذ – حسبه – من غير الممكن تحقيق تنمية دون الربط العضوي بين مختلف الفئات المهنية داخل المؤسسة لتحقيق التضامن في المصير المشترك، أي ما أسماه «بالتراضي التاريخي» (historique compromis Le) ومن ثم الابتعاد عن «سوء الفهم التاريخي» .(historique malentendu le)

غريد جمال: يتمثل جوهر المشروع العلمي المنشود في: «اقتراح معرفة حول المجتمع الجزائري باعتبارها إنتاجا تاريخيا كما اقترح شبكة تحليل لدراسة المجتمع في كليته أو في إحدى مكوناته».

سعيد شيخي: يتمحور تفكيره حول فكرة أن المجتمع الجزائري فقد ضوابطه التقليدية، إلا انه لم يستطع تأسيس ضوابط عصرية، إذ حتى وإن تجلَى ظاهريا مجتمعا حداثيا، يبقى أساسا خارج عن كل أشكال الحداثة. ويتمظهر ذلك في التقصير في الجهد المطلوب والرفع من الإنتاجية، ولا يتوخى ذلك إلا حين يصبح العمل محور الاندماج والتنظيم الاجتماعي. لذا من الضروري القول إن العامل ليس ضد منطق الإنتاج و أنه يرفض المساهمة في نشاط الإنتاج ولكن حتى ينساق في هذا الاتجاه يجب أن تتوفر له الشروط الضرورية.

جيلالي ليابس: يطرح فكرة نوعية وثمينة من الناحية العلمية، إذ ينادي بضرورة

معالجة العلاقة بين الرأسمال العمومي والرأسمال الخاص في ظل منطق مجموع رأسمال الاجتماعي والعلاقة بين كل أجزائه؛ وفي هذا السياق يقترح أنه لا مناص من فهم العقلنة المزدوجة (النظام البيروقراطي وميكانزمات إعادة إنتاج النظام الإنتاجي) بصفتها نتاج تاريخ النزاعات والتناقضات وإرادات هيمنة كل فئة على الأخرى، مع اعتبار النظام الإنتاجي الوطني المراد بلوغه- المشروع- كسيرورة لإنتاج فاعلين اجتماعيين مجندين في نزاعاتهم داخل وحول المؤسسة.

محمد مبتول: يبرر فكرة أن نشاط العمال داخل المصنع مرتبط بحياتهم الاجتماعية في كليتها،وأن هذه الحياة ذي العناصر السوسيو ثقافية الخصوصية هي التي تطبع بنية المجتمع و التي هي الفاعلة داخل المؤسسة، ومن هذه العناصر الرمزية يذكر الكرامة، التضامن، السلطة الأبوية، الاحترام، الثقة والمساواة بل وحتى المساواتية.

أحمد هني: يمحور جوهر تفكيره في أن نمط اشتغال الجمعية الدينية هو المهيمن على نمط اشتغال الاقتصاد، ومن هنا يرى أن المكانة – الاسم- تمنح الكفاءة وليس العكس وأن هذه الكفاءة تقتصر على قيادة الرجال أي أنها سلطة مراقبة فقط.كما ينبه أن العامل الجزائري لا يعيد إنتاج علاقات العمل التي تطبع المجتمعات الأخرى الأجنبية بل هو يعيد إنتاج العلاقات ذات الطبيعة الجزائرية.

بشير محمد: يرى أن عملية التثاقف كما حددتها وتصورتها الفئات المسيرة للمجتمع طرحت إشكالا عويصا في حد ذاتها بحيث أنها نماذج غريبة وبعيدة عن النماذج المحلية التي هي أساس قاعدة العلاقات الاجتماعية في المجتمع ومن هنا تظهر ضرورة الأخذ بعين الاعتبار المتطلبات الحقيقة والباطنية لمن يراد أن يسطر لهم أو يسلط عليهم هذه النماذج الغريبة.

المحاضرة:الثالثة والرابعة(04/03)

التجربة الصناعية في الجزائر:حوصلة اجتماعية وثقافية[5]

مقدمة الدراسة حولSNS :

نهدف من وراء هذا العمل البحثي السوسيولوجي الخصوصي الوقوف على معرفة مقبولة للظواهر السوسيو–ثقافية، يقول الباحثون الثلاثة، بأن هذه الأخيرة التي هي في الوقت نفسه الوسط الموضوعي للتصنيع؛ المنبع الذي تأخذ منه قواها البحثية ومن ثم تحقيق الهدف المنشود المتمثل في بلورة مجتمع حداثي.يرجع الاهتمام بهذا الجانب في خضم التطور السريع «للمؤسسة الوطنية للحديد والصلب SNS»إلى عدم تحكمها فيه، علما أنه هو أيضا، من مكونات العملية الصناعية بخلاف تحكمها في الجانب التكنولوجي في حدود معقولة.

يرتبط هذا البحث بسؤالين أحدهما عام يبحث في المعنى العميق للتصنيع بالجزائر من خلال تجربة SNSوالآخر خصوصي وأكثر واقعية، يعالج الكيفيات التي من خلالها يعيش الإطارات والعمال والمؤهلون هذا التصنيع.إن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما معنى التصنيع في الجزائر؟ فالهدف من وراء هذا السؤال هو محاولة معالجة هذا المشروع بصفته حركة عامة تمدينية مفادها فرض ثقافة جديدة، طرق تفكير ووجود وعمل وكذا حضارة جديدة أي تنظيم جديد للحياة الاجتماعية حول قيم جديدة كالعقلنة والمردودية...

ويهدف السؤال الثاني إلى التحقق من السؤال الأول في جانبه التجريبي أساسا، بمعنى

[5] EL KENZ A, GUERID D, CHIKHI S., Industrie et société : le cas de la SNS, Avril 1978- Juin 1982 (en collaboration).

كيف يعيش ويتصور مختلف الفاعلين بـــ SNS عملية التصنيع هذه؟وفي هذا الإطار تفترض النظرة السائدة –نظرة المسيرين– بـــ SNS فرضية عمل مفادها إعاقة المحيط، (الإدارة، البنوك و الجمارك...) من حيث عدم مسايرته لمتطلبات المؤسسة بينما افترض الباحثون ثلاث فرضيات مغايرة مفادها أن النظرة السائدة بـــ SNSتتوجه إلى معالجة جانب واحد قد لا يكون الجانب المحدد، في الوقت الذي يتمثل الجانب الوجيه في الفلسفة الموجهة لحركة التصنيع والتنمية لأنها هي التي بإمكانها شرح جميع والاختلالات الملاحظة عامة.

من هنا انصب جهدهم على اختبار هذا المشروع الاجتماعي وبأكثر تدقيق اختبار نواته وأساسه المتمثل في نموذج التصنيع، ومن ثم قياس مدى درجات اقترابه أو ابتعاده على التوجهات الكبرى الفاعلة في المجتمع الجزائري.إن ما ننبه عليه حسبهم، أن هذه الدراسة أنجزت في مرحلة حاسمة بمعنى نهاية لمرحلة كان لإطارات SNSضمان تشييد مجتمع حداثي بواسطة التصنيع وبداية لمرحلة ثانية فقدت هذه الإطارات نفسها الإيمان في تحقيق تلك المهمة المنشودة.تتمثل هذه المرحلة الثانية بالعداء للمؤسسة من قبل المحيط السياسي والإداري والاجتماعي، ولكن ومهما كانت درجة التأثير الذي يمكن للمحيط أن يصيب به هذه الأخيرة، إلا أنه من الضروري إعطاء الأهمية القصوى للتناقضات الداخلية للجماعة الاجتماعية المكلفة بتحديث المجتمع، إن هذه التناقضات ليست في نفس المقام مقارنة مع العلاقات بين SNS ومحيطها.

1 . علي الكنز: فئة الإطارات

1 . 1 الإطارات وتمثلاتها لـــ **SNS**

نقصد بتمثل SNS ذلك الوعي الذي يكونه الإطارات عن المؤسسة، والنشاطات التي يمارسونها داخل المؤسسة، وبالدور الذي ينسبونه لها والذي يرغبون أن تلعبه في حركة التصنيع وتطوير المجتمع بعامة.يتصور المركز–الوصاية– أن المهمة المنوطة بالمؤسسة هي مهمة اقتصادية بامتياز، تندرج في إطار نظرية عامة للتنمية. وعليه يهدف المشروع الذي ترتكز عليه هذه النظرية ومن خلالها الإطارات المسيرة بالوصاية المقتنعة بفعالية تحويل المجتمع الجزائري من مجتمع «متأخر» إلى مجتمع «عصري»؛ هذا الهدف الذي كلّف بتحقيقه الإطارات المحلية المشتغلة بالمؤسسات الصناعية الموزعة على ربوع الوطن.

لقد نظّر للمؤسسة في بداية الأمر نظرة اقتصادية أساسا، ومع هذا طُلب منها لاحقا معالجة الجانب الاجتماعي، فأصبحت حينئذ مؤسسة اقتصادية واجتماعية؛ مما نتج عن هذا التناقض من خلال خطاب الإطارات المحلية عدم تفهم هذه الوضعية المزدوجة غير المرتقبة، التي تولدت عنها حيرة بخصوص المواقف التي يجب اتخاذها حيالها. لكن هنا قد ترجع أزمة الهوية، المتمثلة في الازدواجية، وهذه إحدى الفرضيات التي يؤسس عليها الباحث تفسيره إلى أن المصطلحات المستعملة لا تفي بالغرض العلمي المطلوب ومن بين هذه المصطلحات مصطلح «المؤسسة الاقتصادية»، الذي أنتجته التجربة الرأسمالية

الغربية في الوقت الذي أصبح من الضروري مراجعته،حسب الظروف الخصوصية للمجتمع الجزائري.

لقد أصبحت المؤسسة مطالبة زيادة على ضرورة إنتاج الحديد، إنتاج رجل جديد يكون بمثابة الوسيط بين المؤسسة وعائلته وحيّه وحتى قريته، لأن الأمر يتعدى تكوين رجل من خلال احتكاكه بتقنية جديدة. من هنا نفهم الجهود المبذولة لإشراك هذا «الرجل الجديد» في اتخاذ القرار بما يستجيب لمتطلبات تسيير الوحدة الإنتاجية التي يشتغل بها. لذا فإن قيمة المثل الأعلى – النموذج– هي قيمة حاسمة، مما جعل ممارسات المسيرين في المركز أو في الوحدات الإنتاجية تتسم بالبساطة والعمل الدؤوب؛ فهي على خلاف بعض المؤسسات الوطنية الأخرى مطبوعة بسلم رتبي غير متعسف وبعلاقات عمل وظيفية وبسلم أجور أقل ارتفاعا من المعدل الوطني. إنها بعض مميزات الفكر «المهماتي» (Missionnaire) الذي يواجه مجتمعا فقد أشكال اندماجه القديمة دون تأسيسه لأشكال اندماج جديدة.

لذا يمكن القول بصفة عامة أن الوضعية الحالية تتميز بعدم تطابق تصاعدي بين طريقة صناعية ديناميكية وطريقة محيط مختلفة .وفي هذا السياق نلاحظ أن هذا الأخير– المحيط– يتهم SNS على أن تكلفة منتوجها تكلفة مرتفعة مقارنة مع المعايير العالمية، ولكنه يتجاهل أنها لا تنتج في نفس ظروف المؤسسات العالمية، وأن هذه التكلفة المرتفعة، مرتبطة بإضافة تكاليف أخرى ليست من صلاحية SNS منها النفقات الاجتماعية، وقت العمل الضائع في التنقل، الأمراض، صعوبات الحياة اليومية، عدم استقرار فرق الإنتاج والمنافسة غير الشريفة بخصوص الأجور...

وفي مقابل هذا الاتهام، يرد المسيرون بضرورة إعادة النظر الشاملة في قواعد الحساب الاقتصادي المعمول بها في الجزائر، بحيث تضاف إلى هذا الحساب التكاليف الاجتماعية

التي يحولها هذا المحيط المختل على عاتق SNSالمتهمة. فالتطور غير المتساوي للقطاعات الأخرى المكونة للمحيط والقصور في وظيفة النظام الكلي، أخل وبوتيرة سريعة بطبيعة العلاقات التي كان يفترض فيها التكامل بين بعضها البعض؛ لذا حل التوتر مكان التعاون، الكراهية عوض التضامن أي أن ما كان يشكل جملة من الأماني انقلب إلى ضدها تماما.

– تمثل المسيرين لمستخدمي **SNS:**

توحي طبيعة علاقات إدارة SNS بمختلف فئات مستخدميها بعناصر لتصورات يمكن تسميتها بالأنثروبولوجيا الضمنية لأن خطاب المسيرين يتمحور حول عنصرين أساسين يتمثلان في فكرة العطاء والتكوين أي الهبة والبيداغوجيا. وبالفعل إنهما العنصرين اللذين يبعداننا عن الصورة الكلاسيكية للتبادل في الاقتصاد الحديث؛ إذ عندما تطرح على المسيرين أسئلة تهم النزاعات في العمل يجدون أنفسهم محرجين،غير متأكدين من إجابتهم، لأن خطاب SNS ملفت للانتباه فهو خطاب يدعو إلى وحدة المصالح بين مختلف الفئات بالوحدات الإنتاجية؛ الوحدة التي تعني البحث عن التكامل والتجانس بحسب الباحث.

كما يُطرح عمل المرأة مشكلة أخرى، ففي الوقت الذي تشجع SNS هذا العمل النسوي بل هذا العمل المرغوب فيه بقوة نلاحظ أن العمال والموظفين يرفضونه،إننا نقف هنا على مسألة جوهرية في المجتمع الذي يراد تحويله؛هذه المشكلة المتمثلة في الاعتقادات الدينية، العادات والتقاليد، الطابوهات الجنسية ناهيك عن ضغوطات المحيط الذي لا يقف حاجزا فقط بل إنه يحتكم لتصور مخالف بخصوص هذه المسألة مما يؤدي إلى إعاقة التطور المرغوب فيه.

إن ما وقفنا عليه إلى حد الآن لدى المسيرين هو التفكير في الظروف الاقتصادية

لإعادة الإنتاج الاجتماعي، لذا نجد أنفسنا مضطرين إلى التفكير في الظروف الاجتماعية والسياسية لإعادة الإنتاج الاقتصادي. وبهذا الصدد نلاحظ أن المجتمع يرفض في حدود كبيرة فكرتي التبادل والعطاء لأنه يريد أخذ كل شيء، لأنهم يريدون إعطاءه كل شيء، ولا يريد تقديم أي شيء لأنهم لا يرغبون في أن يأخذوا منه أي شيء. فمن هنا يمكن التأكيد على أن SNS فقدت البوصلة المنيرة، فبخلاف التصنيع في الغرب ، كان من ورائه في الجزائر على وجه الخصوص السلطة السياسية والدولة، فلقاء النظامين الثقافيين اتسم بالتعسف مما دفع بمسؤولي القطاعات الثقافية إلى تبني الاتجاه المعاكس في الوقت الذي استمر المسؤولون الاقتصاديون بعامة ومسؤولوSNS بخاصة الاعتقاد في تفوق النماذج الجديدة المرتبطة بأشكال تسيير المجتمعات الغربية.

لقد أظهر خطاب العمال تصور مجتمع وعالم متباينين تماما مقارنة بما أدلى به خطاب الإطارات، إنهما خطابين غير قابلين للتطابق على الإطلاق؛ إذ هناك فرق بين خطاب الإطارات التي كانت لا تتصور نفسها كمسؤولي صناعات فقط بل كقائمين على تحديث مجتمع في كليته، أي كمناضلين من أجل عالم جديد. ولكن لما تأكدوا بأنهم غير قادرين على التحكم في المجتمع الذي كانوا يرغبون في تحويله، اعتقدوا في أغلبيتهم أن الفئات الأخرى من مستخدمي المؤسسة وخاصة العمال المنفذين – اليدويين– لم يعتنقوا بالقدر الكافي الروح التي أرادت SNS تلقينها إياهم.ولتفسير هذا التناقض في التوجهات، اعتمدت فرضيات عديدة، فمنها من اعتبرت أن نقطة الانطلاق هي بمثابة نقطة هشة تعلق الأمر بالمستوى المؤسساتي والسياسي أو المستوى الثقافي والاجتماعي لضمان على المدى البعيد ذلك التنشيط المرغوب فيه(activisme).

لذا لا يمكن لنقطة الانطلاق تلك إلا إصابة قوى وأعصاب هؤلاء المسؤولين. كما اعتبر المحيط فيما بعد على أنه عائق ثان، لم يندمج في فضاء العقلنة كما تصورها

وأرادها الإطارات لأنه امتثل لمنطق مغاير خاص به، لم يؤمن بنجاح «المهمة» وكذا المشروع الصناعي على حد سواء، بل أكثر من هذا، لقد اعترف هذا المحيط لنفسه بجوانبه الايجابية على خلاف ما وصف به.

وفي الأخير لقد اعتبرت كذلك علاقات العمل داخل المؤسسة ذاتها، على أنها علاقات موجودة في فضاء نزاع بعيد كل البعد عن الأشكال التي كان يتصورها الإطارات في خطاباتهم؛ والتي كان يعتقد فيها بمثابة معايير تعاقدية حقيقية تؤسس عليها علاقات إنتاج جديدة.

- الإطارات في المؤسسة:

لقد فرضت علاقات الإنتاج منطقها الخاص على العلاقات في العمل، الأمر الذي أدى بأغلبية العمال النظر إلى الإطارات على أنهم مسيرين، مستخدمين وفي بعض الحالات حتى أصحاب رؤوس أموال مما تسبب في وجود توتر سيكولوجي دائم في العلاقات بين مختلف الفئات المهنية مما يجعل من كل واحدة منهم بعيدة عن الأخرى ناهيك عن انعدام التواصل بينها ما عدا تلك التي يفرضها تسيير الأعمال اليومية.تتمثل نواة التناقض في وعي الإطارات عن أنفسهم وعن الآخرين في اعتقادهم غير الصائب في أن العمال كان عليهم بالضرورة أن يكونوا حلفاءهم الأساسيين في عملية إنجاح هذا المشروع في الوقت الذي تصرف هؤلاء العمال دائما بصفتهم أجراء يواجهون مستخدميهم، إذ لم يكتفوا بالنظر إليهم كمختلفين عنهم، يستفيدون من امتيازات حتى وإن كانت هذه الامتيازات وهمية في بعض الأحيان، بل يعتبرونهم حتى كأعداء على وجه العموم. إن هذه العداوة تعبر عن عداوة داخلية للجماعة الاجتماعية التي افترض تحديثها.

المحاضرة: الخامسة والسادسة(06/05)

2 . جمال غريد :فئة العمال

لقد توصلنا في القسم الأول– قسم الإطارات– يقول الباحث، أن العامل يحتل في خطاب المسيرين مكانة أساسية، فهو ليس فقط العنصر الذي ينتج الخيرات المادية، بل أيضا الذي ينشر كيفيات الوجود و التفكير والعمل الجديدة.تقتضي هذه الوظيفة المزدوجة، المنتج والوسيط الموافقة وبكل وعي وطواعية على النظام النظري لـــ SNS ومشروعه التحويلي للمجتمع. يرتبط هذا التساؤل المتعلق بمستقبل هذا المشروع في حقيقة الأمر بظروف وفرص الخروج من التخلف ومن بعده الالتحاق بمستوى تطور المجتمعات الحديثة؛ إنه التساؤل حول الفكرة التي يكونها هذا الفاعل الأساسي (العمال) أي المعني بتطبيق هذا المشروع في صورة المنتج الوسيط.

يهدف موضوع هذا القسم الثاني إلى تحليل التصورات التي تقيمها هذه الفئة عن SNS، عن طبيعة العلاقات التي تربط بينهما، وأخيرا نظرتها للمجتمع وللعالم. من هنا ضروري أن نركز حسب «جمال غريد» على نقطة جوهرية مفادها البحث في أشكال

وعي العمال، أي علاقتهم بمختلف الوقائع الاجتماعية وكذا الممارسات التي يجسدونها صوب هذه الوقائع.سنقف عند هذا الوعي أساسا من خلال ما عبر عنه «جمال غريد» «بخطاب العمال»وفيما بعد من خلال«ممارسات العمال». إن صورة SNS في خطابات العمال ما هي إلا وحدة إنتاجية أولا ثم مؤسسة توظف عدد من المستخدمين.

يمكن القول بناءًا على ذلك أن هناك اختلاف في المواقع بين الإطارات والعمال، فإذا كانت الإطارات تتموقع في تنظيم بيروقراطي ذي بعد وطني، فإن العمال يحددون موقفهم بالنسبة للعمل، للورشة وللمؤسسة محليا. فعندما يتقدم العامل إلى SNS بهدف التوظيف، فهو يتقدم قبل كل شيء أملا في الحصول على منصب عمل دائم وأجر محدد.وعندما يقضون مدة زمنية لا بأس بها في المؤسسة، ترى أغلبيتهم أنها يائسة داخل المؤسسة أي أنها تلتحق بورشاتها بصفة غير مسرورة، وبالإحساس نفسه تقوم هذه الأغلبية بعملها، كما ترفض الكلام عن العمل وعن المستخدمين خارج أوقات العمل؛فهي تشتغل لا لشيء إلا لأنها مضطرة على القيام بذلك و لأنها مفتقدة للبديل، معناه أن العامل يتعامل أداتياً مع المؤسسة.

2 . 1 الاستراتيجيات الفردية والجماعية للعمال:

يمارس العمال استراتيجيات عديدة نذكر من بينها:

-إستراتيجية الانزواء(repli le):

توحي هذه الأخيرة تقديم العامل -إن لم نقل مفروض عليه- لعمل مقابل أجرة، هذا العمل الذي يعد في أغلب الحالات دون فائدة لشخصه، إن هذا الموقف هو موقف العمال بدون تخصص؛ المتواجدين جسديا فقط بالوحدة الإنتاجية، في الوقت الذي يبقى تفكيرهم غائباً عن مكان عملهم.

- إستراتيجية الحضور النشيط والملتزم:

تعد بنية الحركية(Mobilité)القلب النابض لهم، فعلاقتهم بالعمل علاقة مسترخية(Décontracté)، إنه موقف فئة من العمال ذات مستوى دراسي لا بأس به وذات تخصص؛ فهي تظهر على أنها مقتنعة بنفسها وبقدراتها، متفائلة بالمستقبل ومعتمدة على قدراتها ليس إلا. ولكن مهما يكن من أمر، نلاحظ استراتيجيات عمل متنوعة، إلا أن ما يهمنا حاليا بالدرجة الأولى هو الوقوف على مميزات النموذج الجديد للعامل الصناعي وعلى الوجه الغالب الذي أصبح يفرض نفسه كوجه أساسي، ألا هو ما أسماه الباحث بـــ«العامل الشائع». إنه العامل الواقعي الذي تعرفه SNS بصفة سلبية، هذا المزارع الذي لم يتعد هذه الصفة كلية، الأمي، السلبي، غير الواعي وقليل التبصر... فهو يظهر على أنه يمثل النمط المضاد للعامل أو هو على الأقل ما يمكن نعته بما قبل العامل؛ فليس بواسطة هذا العامل ذي المواصفات السالفة الذكر، يمكن تشييد صناعة حديدية ناجحة ومرغوب فيها ،تلكم هي بعض الأوصاف التي يوصف بها «العامل الصناعي» في الجزائر من طرف الإطارات،هذه الأوصاف التي تندرج ضمن ما يمكن تسميته بالأنثروبولوجيا الضمنية.

2 . 2 العامل الشائع:

يساهم بروز العامل الشائع وهيمنته داخل الورشات ليس فقط في انفجار الصور النمطية عن العامل الصناعي، بل فرض أيضا وخاصة على المستويين الاقتصادي والنظري تفكيرًا جديدًا يقارب بطريقة جديدة المشاكل العويصة للتنمية.

من هو العامل الشائع؟

العامل الشائع هو وجه من الأوجه الناتجة عن الاحتكاك (والمواجهة) الدائر بين الشكل الذي اتخذه التصنيع والتشكيلة الاجتماعية التي يتطور فيها. فهو العامل الذي نلاحظ حضوره القوي في ورشات المؤسسات الصناعية الكثيرة

التي أنجزت في إطار المخططات التنموية. أما رفيقه «العامل المركزي» فقد أضحى شبه غائب. وبالفعل فإن هذا الأخير الذي تكون في الصناعة الاستعمارية لهو الآن إما في طريق الاندثار (تقاعد، وفاة...) وإما في طريق الابتعاد عن الوضعية العمالية. فمن جراء التصنيع الواسع والسريع وإذاً من جراء تزايد الأعداد العمالية فإن العامل الصناعي الكلاسيكي قد وجد نفسه بسبب تجربته وبسبب خبرته التقنية والمهنية مدفوعا نحو مراكز المسؤولية التقنية(رئيس فرقة، عون وحتى إطار) أو النقابية والسياسية.

النتيجة أنه قد ابتعد عن واقع العمل الإنتاجي ولكن المشكلة هي أنه ما زال يحتكر الكلمة والتمثيل العماليين. وهكذا فهو يعطي لمن هم خارج المؤسسة صورة خاطئة عن الوضعية العمالية في الجزائر. فهذا هو «العامل» الذي ينفصل عادة عن باقي رفقائه ويقدم نفسه كمخاطب أول للباحثين في حقل العلوم الاجتماعية.

العامل الشائع هو عادة عامل شاب فهو في غالب الأحيان من أصل ريفي وحتى فلاحي وهو ما زال يحافظ على ارتباطات مع عالمه الأصلي حيث يوجد في أحيان كثيرة مقر سكناه. هو ملم إلى حد ما بمبادئ الكتابة والقراءة العربية وحامل لعناصر ثقافية يرتبها وينظمها فهم مبسط للإسلام. هو يجهل تماماً قواعد اللعبة المعمول بها في المؤسسة الصناعية وعلى الخصوص الأشكال العصرية والمؤسساتية في المقاومة والمطالبة. ولذا فهو يفاجئ بسلوك سلبي وبخضوع مبالغ فيه حتى يكاد المرء ينسى وجوده داخل الورشة ولكنه يفاجئ أكثر بأفعال وتحركات مباغتة مذهلة فيمس الإطار في يقينه ويشكك عالم اجتماع العمل في علمه.

أما بالنسبة للإطار (وبالنسبة لزميله الباحث في العلوم الاجتماعية) الذي يحمل إحدى النظرتين المذكورتين أو خليطا منهما فإن العامل الشائع لا يمكن تعريفه إلا بصفة سلبية: فهذا الفلاح الذي لم يتخلص بعد من «فلاحيته» هذا الأمي أو شبه الأمي يجمع في شخصه كل السلبيات: جمود-لا وعي- لا تبصر... فهو حقيقة نموذج العامل المضاد أو على الأقل نموذج «ما قبل العامل» فليس مع هؤلاء الناس إذن يستطيع المرء أن يقيم صناعة موثوقا فيها وقابلة للاستمرار. لا مناص والحالة هذه من انتظار الجيل اللاحق الذي سوف ينتج من بين صفوفه بفضل التنشئة الاجتماعية المدرسية والمصنعية «العامل الصناعي الحقيقي».

على هذا المستوى يبرز التناقض بين النخبة المصنعة والمجتمع الذي تخطط من أجل تحويله. فبينما يعتمد النسق الإيديولوجي لهذه النخبة على مفهوم العامل (العامل كمفهوم) فإن الوحدات الصناعية تعتمد هي في سيرها على العامل الموجود حقيقة: العامل الشائع. بعبارة أخرى أكثر تبسيطا إن الإطار لا يستطيع أن يسمع أو أن يفهم العامل الصناعي الحقيقي لأن النسق الإيديولوجي الذي يحمله لا يعرف ولا يعترف إلا بالعامل الصناعي الكلاسيكي. وهكذا فإن المجابهة بين المجموعتين اللتين أنتجهما التصنيع لمطروحة طرحا موضوعيا لا مفر منه في الوضعية الصناعية ومن ورائها في الوضعية الاجتماعية.

ففي تصديه للمحاولات التي تستهدف فرض أشكال حضارية معينة فإن العامل الشائع يعمد إلى رد الاعتبار لبعض الجوانب الثقافية التقليدية ويستعملها كوسائل دفاع ضد أخطار التقسيم والتشتة. وفي هذا الإطار فإن

الدين يلعب دورا هاما في تحقيق الاندماج وفي المقاومة، أما الماضي ما قبل الصناعي فقد أصبح محل تمجيد وهذا بطبيعة الحال شكل من أشكال رفض الحاضر بتجزئته وبؤسه وتعسفه. كل شيء يبدو وكأن الدين صار بالنسبة له ملاذا يلجأ إليه ويحتمي به في مواجهة الهمجية الصناعية . إن التصنيع السريع والتثقيف القسري الذي يفرضه بعيدا من أن يؤثر على الوعي العمالي في الاتجاه الذي ينشده أصحابه يساهم على النقيض من ذلك في إعادة إنتاج الدين، كل يوم وفي كل ركن من أركان الورشة.

تنتظم حياة العامل الشائع الاجتماعية حول قطبين يتعارضان في كل شيء: مكان الإقامة، مكان العمل. فلا يتعلق الأمر بتمييز في الزمان والمكان ولا بالتمييز العادي بين العمل والتسلية وإنما يتعلق الأمر هنا بتمييز أشد عمقا بين ثقافتين تختلفان في كل شيء: في وتائر الحياة، في تصنيفات الظواهر الاجتماعية والكونية وفي الأنساق التصورية. وهكذا فليس من باب المبالغة القول إن العامل أثناء تنقله اليومي بين مكان الإقامة ومكان العمل ينتقل في الواقع من ثقافة إلى أخرى.

أما في المؤسسة فإن إستراتيجيته تتنافى تماما مع استراتيجية العامل الكلاسيكي. فبينما يكون هذا الأخير مندمجا في العالم الصناعي وسعيدا بذلك مع التطلع إلى مزيد من الترقية لنفسه وإلى مزيد من العقلانية للنظام المصنعي فإن العامل الشائع على العكس من ذلك يتفاوض مع مؤسسته ابتغاء لأقل قدر ممكن من الاندماج فهو يريد التعامل مع المصنع تعاملا أداتيا لا أكثر ولا أقل: فهو يقدم قسما من وقته ويأخذ في مقابله مبلغا من المال. بعبارة أخرى فإن معارضته للمصنع ليست معارضة مصالح وإنما هي علامة من

علامات رفض عالمه للعالم الآخر ولكن هذا يعني أن العامل الشائع لا يقاوم بإمكانياته الخاصة وحسب استطاعته غير أنه من الأصح أن نقول بأن ممارسته تعبر في الحقيقة عن انشقاق ثقافي عن المصنع وعن العالم الصناعي وذلك في تهيئة ممارسات ومجالات خالية من كل تدخل صناعي.

إن هذه الأشكال في الرفض واللامبالاة إن قارناها بأشكال شبيهة لوحظت في بلدان أخرى لهي شاهدة على الحدود التي ينتهي عندها بسرعة نموذج التنمية المفروض من فوق ليبيرالي الشكل كان أم سوفياتيا.

– جمال غريد، العامل الشائع ،مجلة إنسانيات ،العدد 01،1997.

– تصورات العمال لـــــ**SNS:**

لقد أظهرنا سلفا يقول «جمال غريد» أن هناك اختلاف بين خطاب الإطارات الذي يؤسسه التناقض بين SNS والمحيط، الخطاب الذي يمنح مكانة أساسية للتعاون والتضامن بين المسيرين والمنتجين بينما ينظم خطاب العمال على التناقض والمواجهة بين هاتين الفئتين، فالعمال يتموقعون دائما من خلال علاقتهم المناوئة مع الإطارات، هذا التباين المعبر عنه بـــ «نحن» و «هم» أو «الآخرين».

– الفرضية القاعدية:

بغض النظر عن كل أشكال العقلنة التي تقدمت بها النخب يبقى المشكل الأساسي مطروحا و متعلقا بمشكلة السلطة في المدينة،و هنا يركز «غريد» اهتمامه أساسا على مدينة «الغزوات» بولاية تلمسان،التي كانت من بين عينة الدراسة التي أجريت بالوحدة الإنتاجية للحديد والصلب.

د-العالمان المختلفان للمتنافسين: الإطار والعامل الشائع.

حاول»غريد» إدراك هذا التباين الذي نعتقد أنه الابتكار العلمي الذي أحدثه آنذاك، الابتكار الذي جلب انتباه بعض الباحثين الجزائريين والأجانب على حد سواء، المهتمين بسوسيولوحيا العمل في الجزائر بواسطة وضع التقييم الذي تبديه الإطارات عن العامل الشائع في مقابل موقف هذا الأخير من تصرفات وخطابات الإطارات.يوضح هذا التباين الفجوة العميقة التي تفصل بين المتنافسين، فمن جهة يصف الإطار العامل بكل الأوصاف السلبية كالقول مثلا، أنه سلبي وغير عقلاني وغير واعي و...

لذا نظن أنه لا يمكن طرح وفهم مغزى الخطاب العمالي إلا في علاقته مع وضد من يثيره، ويتعلق الأمر هنا خاصة بالإطارات المسيرة. فإذا كانت الإطارات يتموقعون في تنظيم بيروقراطي ذي بعد وطني، فإن العمال يتحددون من خلال نشاط في ورشة وفي وحدة إنتاجية فقط، فبالنسبة لهم تنتمي المؤسسة إلى عالم غير عالمهم ومن ثم قد ربطوا معها علاقة خارجية آلية حتى أصبح همهم الوحيد تبادل أجر مقابل تقديم عمل محدد. وحتى يكونوا منطقيين مع أنفسهم ونظرا لوضعتهم في المؤسسة يرد هؤلاء بالانزواء وضعف التعهد ولا يبادرون في الوحدة أي لا يعتبرون أنفسهم معنيين.

ومهما يكن من أمر، فلا يمكن للمؤسسة فرض سلطتها على المدينة (المستوى المحلي) إلا إذا استطاعت الفئة التصنيعية فرض سلطتها على الفئات الأخرى في هرم السلطة.إن سلطة المؤسسة ما هي إلا سلطة من بين السلطات العديدة في المدينة،إذ يمكن ذكر من أهمها السلطة التنفيذية للدولة (الدائرة)، السلطة الاديولوجية والسياسية (حزب جبهة التحرير)،- الحزب الواحد آنذاك- السلطة المنتخبة(المجلس الشعبي البلدي) والسلطة غير الرسمية(أعيان المدينة)، ونظرا للتعارض بين المؤسسة والمدينة يبقى السؤال متمثلا في من هو سيد المدينة؟يظهر بخصوص هذه المسألة أن الإجابة هي لصالح المدينة.

المحاضرة: السابعة والثامنة (08/07)

3 .سعيد شيخي: أعوان التحكم[6] (maitrise la)

ينطلق الباحث من الإشارة إلى أهم فكرة أبرزها سابقوه «علي الكنز» و«جمال غريد» كل من خلال الفئة المهنية التي تناولها بالدراسة، قائلا إن تحليل مضمون خطاب الإطارات المسيرة وتصورات العمال أظهر جليا أن هناك وجود لعقلنات عديدة بـــ SNS؛ تتنازع فيما بينها بواسطة حامليها داخل المصنع؛ كما أن هناك تباين في الأهداف، ويرجع ذلك لسببين أساسين على الأقل:

يعد المجتمع الجزائري مجتمعا منتجا للتباينات الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية كما تترتب عن التقسيم الاجتماعي والتقني للعمل بـــ SNS في حد ذاته تباينات جديدة.

[6]لقد استعرنا هذه الترجمة عن الأستاذ الدكتور العياشي عنصر.

إذا كانت SNS فضاءًا لعقلنات متباينة، فلا يمكن الحديث عن عدم وظيفية الاستراتيجيات المختلفة وانعكاساتها الواقعية لأنها بكل بساطة تناقضات بنيوية، تخترق SNS من كل جهة، هذه التناقضات الموجودة بين أولائك اللذين يملكون واللذين يفتقدون لكل شيء، أولئك اللذين يعرفون ولا يعرفون شيئا، أولئك اللذين يقررون واللذين ينفذون.

يتمثل السؤال الأساسي بخصوص فئة في: هل هذه الأخيرة تحمل تصوراً ومنطقاً وإستراتيجية تميزها عن غيرها أم هي وسيطة بين الفئتين الأساسيتين، فئة الإطارات وفئة العمال المنفذين.

3 . 1 تصورات أعوان التحكم للمؤسسة:

تعتبر المؤسسة من خلال خطاب العمال مكانا للتعارض بين عقلنتين، عقلنة الإطارات المسيرة المرتبطة بمنطق الهيمنة وعقلنة العمال التي تترجم سلوكيات مقاومة؛ وأما بالنسبة لأعوان التحكم، فمن خلال قيادتهم تتحقق الأهداف المرسومة أولا لأنهم النواة الأساسية للاشتغال الواقعي واليومي للورشة ومن ثم السير الحسن للتجهيزات.وتتمثل هذه المركزية من خلال خطابات أعوان التحكم ليس في المحيط المعيق كما يروج له ولا في الفضاء المخترق من طرف النزاعات الطبقية بل في التحكم في الورشة، في التجهيزات ومستوى إنتاج فئة العمال.

فإذا كان خطاب الإطارات يحاول البرهنة على الصعوبات التي تعاني منها SNS والمرتبطة بالمحيط، فإن خطاب أعوان التحكم يُموقع هذه الخلافات بداخل **SNS**؛ ومع هذا تبقى المقاربة التنظيمية للمؤهلين مختلفة عن تلك التي يبديها العمال؛ فبالنسبة للمؤهلين يجب فقط تحسين التنظيم حتى تحقق SNS مبتغاها، بينما يفسر خطاب العمال هذه الخلافات من خلال منطق مغاير لمنطق أعوان التحكم؛ إذ بالنسبة لهم لا تقارب هذه

الخلافات في علاقتها مع أهداف المؤسسة بل في علاقتها بممارسات محددة مستوحاة من منطق الهيمنة الاجتماعية؛ إن ما هو غير وظيفي وغير منسجم بخصوص التنظيم التقني يصبح في أعين العمال وظيفي وعقلاني بالنسبة للتنظيم الاجتماعي. يرفض المؤهلون ذلك الضغط في التنظيم الذي يعيقهم في فرض سلطتهم على العمال؛ فهم يتصورون الإطارات الذين يفترض فيهم تحقيق السعادة في المنصب بواسطة العمل،على أنهم يقصرون في أداء واجبهم فقط.

بينما يوحي خطاب العمال بأن علاقاتهم بالإطارات معاشة كتناقض يصعب تعديه بين فاعلين، بين عالمين، فهو تناقض في الوقت ذاته بين عقلنتين وكذا هوية سوسيو–ثقافية؛ بمعنى أن هناك فرق في المعنى الذي يعطيه أعوان التحكم لانتقادهم للإطارات؛ فهم لا يتكلمون عن مسهم في كرامتهم أو إهانتهم في علاقتهم مع الإطارات فهم ليسوا عرضة لعدم التقدير والاحترام كما هو حال العمال.

يعترف أعوان التحكم بصعوبات إقناع العمال للقيام بواجبهم، وكأن العمال مقتنعين بأن الجهد الذي يقدمونه هو لفائدة غيرهم؛ لذا يظهر أن الصفة الأساسية لهذه الطبقة العاملة الجديدة هو عدم اقتناعها تماما بما تقوم به في المؤسسة. تتسبب ظروف العمل من تعب، إهدار القدرات، اللاعقلانية في التنظيم، أشكال القيادة مع كثرة الأوامر في رفضهم هذا. من هنا يقر أعوان التحكم أن العمال انتهوا إلى الاعتقاد في عكس ما تقر به الخطابات الموجهة إليهم ولغيرهم.يقيّم خطاب أعوان التحكم ذي الطابع الأخلاقي ردود أفعال العمال لا بصفتها مقاومة بل يقررونها بالأشكال الشائعة القائمة بالوحدات الإنتاجية؛ ومن ثم يُنظر إلى تصرفات العمال على أنها تصرفات ما قبل أو على الأقل لا صناعية لأن – حسبهم – لم تكتسب بعد هذه الفئة وعيا كما لا تعطي معنى للانضباط؛ إنه شكل آخر من أشكال الأنثروبولوجيا الضمنية.

فإذا كان العمال يسلكون بعض السلوكيات «السلبية» حسب أعوان التحكم ،فمن جهة الباحث «سعيد شيخي»،هم يسلكونها لا لأنهم «متأخرين» ولا لأنهم لم يكتسبوا بعد السلوك الصناعي بل لأنهم يدركون جيدا وضعيتهم ضمن العلاقات الاجتماعية للإنتاج، فهو لا يفسر عدم انغماسهم في العمل بافتقادهم للوعي المهني بل يفسر ذلك برفضهم للظروف التي يتم بداخلها العمل وأن رفضهم للعمل لا يكمن في حد ذات العمل، وإذا هم غير مرتبطين بالمؤسسة كما يتطلب الحال، فهم لا يعتبرون أنفسهم مسؤولين أمام نظام غير نظامهم. من هنا يتضح أن نعتهم بأصحاب العقلية الزراعية يجانب الصواب ولا هم سينضبطون يوما ما بواسطة وقت العمل الذي يقضونه في المؤسسة؛ لا يعدو أن تكون سوى صورة نمطية غير صائبة إذ كل ما في الأمر أنه شكل آخر للأنثروبولوجيا الضمنية.

يتصور أعوان التحكم أنفسهم بمثابة مرسل إليه، وسيط ومرسل ولكن دون التمتع بالمسؤولية الكافية، لأن مغادرتهم مصف العمال لم تؤهلهم دخول فضاء الإطارات؛ فهم الخط الأمامي للقيادة وفي الوقت نفسه الدرجة السفلى في التأطير. تلكم هي مكانتهم في السلم الرتبي وما يفرضه التنظيم من وظيفة؛ فهم يشعرون بأنهم مسؤولين عن الانضباط في العمل إلا أنهم يصرحون بافتقادهم لوسائل فرضه، الحفاظ عليه ولا لتحسينه. فالإطار يوحي لعون التحكم أن مشاكل العمال ليست من مهمته، في الوقت الذي يطالبه بتطبيق سلطته، علما أن العمال لا يعترفون له بهذه السلطة ما دام حل مشاكلهم يتعدى قدرته؛ بمعنى أن الاعتراف بهم مرتبط بالمقدرة على إستجابة عون التحكم لحل مشاكلهم.

فمن بين الصعوبات التي تواجه المؤهل–الصعوبة الأولى– هو كيف يستطيع تحقيق التوازن بين العمال الذين لا يمتثلون للعمل بالقدر الكافي والإطارات التي لا تحسن القيادة؟ ناهيك عن ممثلي جمعيات العمال اللذين لا يجهدون أنفسهم للحد من عدم الانضباط بل هم

يشجعون على عدم اتخاذ إجراءات عقابية أصلا؛ إنها الصعوبة الثانية المتمثلة في مؤسساتية التسيير الاشتراكي للمؤسسات GSE الذي يحد من سلطة أعوان التحكم بتأسيسها لتربية موازية، أي «لسلطة مضادة». فما يرهق أيضا أعوان التحكم هو عدم التضامن بين الإطارات والعمال، بحيث يظهر هذا التباين العميق على أنه صعب التعدي؛ لذا لا يمكن اعتبار هاتين العقلنتين بمثابة نزاع مصالح فقط ولكن هي أيضا ترجمة على أرض الواقع لتباين هوياتي، ثقافي إلى جانب رؤيتين مختلفتين للعالم.

– نماذج القيادة:

يحدد الباحث ثلاث مجموعات بداخل فئة أعوان التحكم،هذه المجموعات التي تتميز بثلاثة أشكال:يقاوم العمال الشكل الأول من القيادة المتمثلة في النموذج الانتقائي الذي يهدف من بين أولوياته خلق منافسة وانقسامات بين العمال، التي تولد توترات وعداءات. كما يقاومون النموذج التسلطي كشكل ثاني للقيادة، إذ مهما كانت المحاولات التي يقوم بها أعوان التحكم من أجل «تسيير» التناقضات أو العلاقات المتباينة في SNS يظلون عاجزين عن التحكم في الأسباب الاجتماعية والثقافية لهذه التناقضات، كما يقاومون أيضا الشكل الثالث المتمثل في النموذج الديموقراطي بحيث يتحول خضوع العمال المرغوب فيه حتى وإن طالت المدة الزمنية إلى كره وفيما بعد إلى مقاومة مفتوحة. تبقى هذه الأشكال الثلاث للقيادة، أشكال تعبر عن علاقات تناقض بل إنها حاملة للتناقض بعينه.

فضاء أعوان التحكم:

ينبني خطاب الإطارات المسيرة على أساس ثلاث صفات متباينة هي بمثابة شروط ضرورية لتحقيق مشروع SNS:

يعتبر العمل قيمة مركزية ووسيلة أساسية لتحقيق النمو الاقتصادي والاجتماعي.

التفاف الجميع حول هذا المشروع.

التضامن داخل المؤسسة.

وفي مقابل هذا، يرفض العمال في أغلبيتهم خطاب الإطارات هذا، إذ أن تمثلاتهم للمؤسسة، للعلاقات الاجتماعية داخل الوحدة الإنتاجية وللمجتمع بصفة عامة لا تتطابق مع مشروع SNS؛ بأكثر تدقيق تتعارض معه وبالتالي يصبح أي توافق غير ممكن بالمرة بين الخطابين. وبناءً على هذا يمكن طرح السؤال التالي مع «سعيد شيخي»: هل يمكن افتراض أن فئة أعوان التحكم هي الأكثر تجاوبا مع خطاب الإطارات ومن ثم هي الفئة الأمثل لتحقيق مشروع SNS، إنها الفرضية الأساسية لما تبقى من هذه الدراسة يقول الباحث.

إن المواضيع التي تتردد في خطاب أعوان التحكم هي على سبيل المثال، الوحدة بين المنتجين والإطارات، الأهمية المعطاة للكفاءة حتى تتأسس هذه الوحدة المنشودة، تصور المصنع على أساس النجاعة الاقتصادية والاجتماعية، تكاثف الجميع من أجل تحقيق المشروع الاجتماعي، صورة المستخدم غير المنحاز والمعتنق تماما لقيم المصنع. إنه خطاب يربط بين المؤسسة وعمالها، خطاب يحمل في طياته مهمة نشر قيم SNS لدى العمال.

من هنا نفهم أن انتقاد هذه الفئة لـــ SNS ما هو إلا رغبة منها لتحسين الأوضاع من حيث محاولة تجاوز الاختلالات الموجودة في التنظيم. إن مرد هذه الاختلالات حسبها، يتعلق بعدم الاعتماد على معرفتها وخبرتها المتراكمة ومن ثم فالمؤسسة تُحرمها من القيام بأي مبادرة، وفي المقابل فهي تمنح المسؤولية للمنقطعين عن الواقع الفعلي واللذين هم أقل كفاءة منها.

-أعوان التحكم وفضاء التسيير الاشتراكي للمؤسسات:

يتمنى أغلبية العمال أن يكون ممثلو العمال أقرب إليهم، أي بجانبهم وبالتالي رفع

مطالبهم إلى الجهات المعنية، بينما يصرح أعوان التحكم بضرورة اتصاف الممثلين بالتعلم والكفاءة والتكوين مما يعني ضمنيا أن SNS مطالبة باللجوء إليهم فيما يخص المشاركة والتسيير لأنهم- فئة أعوان التحكم – الأقرب إلى التميز بهذه الصفات. وفي هذا المستوى أيضا نقف على وجود الأنثروبولوجيا الضمنية في خطاب أعوان التحكم، بحيث إذا كان العمال لا يزالون مطلبيين مهما تطبيق إجراءات التسيير الاشتراكي للمؤسسات فلأنهم لم يرتقوا بعد إلى مستوى اكتساب الوعي السياسي، فهم سوى مغتربين غارقين في مشاكلهم اليومية وغير قادرين على إدراك المشاكل الحقيقية والرهانات الأساسية، إنها الأهداف المنوطة لـــلتسيير الاشتراكي للمؤسسات من طرف أعوان التحكم، كالتسيس، تحمل المسؤولية والمشاركة في تسيير المؤسسة. – فبحسبهم – تعد مهمة جمعية العمال المساهمة في تحقيق الوحدة والتضامن بين العمال والإطارات المسيرة بدلا من التعبير عن ما يفرق ويناقض بينهما؛ لذا يظهر عون التحكم على أنه مسير اجتماعي أو كتقني المشاكل الاجتماعية.

وفي الأخير يشير الباحث إلى أهم نتيجة في العمل الجماعي حول SNS المشار إليه سلفا والذي مس سبع(07) وحدات إنتاجية «للمؤسسة الوطنية للحديد والصلب» المنتشرة بمختلف أنحاء الوطن؛ هذه الدراسة التي ساعدتهم على جمع العديد من الاستمارات التي وصل عددها إلى ألف وخمسمائة (1500)، مست جميع الفئات المهنية إضافة إلى إجراء العديد من المقابلات مع الإطارات وأعوان التحكم وعمال التنفيذ. لقد ركز هذا التحقيق الميداني أساسا على محاولة إبراز أنظمة التصورات لدى كل فئة من خلال موقعة نفسها بنفسها، تصور نفسها وتصور الآخرين، بعبارة أخرى إذا قمنا بهذه المقابلات العديدة مع مختلف الفئات ومساءلتنا بدون انقطاع التعليمات والمذكرات والوثائق الداخلية يقول الباحث، فلأنهم يحملون في طياتهم آثار الرهانات بين مختلف أولئك الفاعلين الاجتماعيين

وكذا استراتيجياتهم المستعملة في إطار النزاعات القائمة بينهم.

كما ترمي سلوكيات العمال أيضا إلى مبادئ تقسيم العمل ومناهج تنظيمه، هذه المبادئ التي هي متشابهة إلى حد كبير مع ما هو موجود في أوروبا. ومع هذا لا تكفي هذه المبادئ لتحديد هوية بين نظامين إنتاجيين لأن المنطق الاجتماعي في الجزائر الذي يقود تشغيل النظام التقني للإنتاج بعيد كل البعد مقارنة بما هو موجود في الغرب. نلاحظ عندما نتمعن في خطاب العمال أنهم يركزون على أن وظيفة الإطار المسير تدور حول الاهتمام بالعامل وليس بالعمل، بمعنى أنهم يفرضون على المنتج المباشر الخضوع واحترام السلم بدلا من دفعه إلى العمل على الإبداع وتنمية قدراته الإنتاجية حتى يجند للعمل.

الأستاذ الدكتور بشير محمد[*] جامعة تلمسان/الجزائر محاضرات في الوحدة البيداغوجية

"إعداد المذكرة"

طلبة ماستر 2 السنة الثانية تخصص علم الاجتماع التنظيم والعمل

السداسي الأول

العناصر الأساسية:

1-مراحل الطريقة العلمية

2-مسألة جزئية التصوير

3-نماذج تطبيقية

[*]للتفصيل أكثر في كل هذه العناصر، انظر بشير محمد(شخصي)،علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر:الرعيل الأول،توطئة نذير معروف،الطبعة الثانية،تمسان/الجزائر،دار كنوز النشر والتوزيع،2019.

المحاضرة الأولى والثانية:مراحل الطريقة العلمية[7]:

يقول قاسطون باشلار"Gaston BACHELARD"أن الحدث العلمي مغزو، مبني وملاحظ"

"Lefait scientifique est conquis, construit et constaté "

نستنتج من هذه المقولة ثلاثة أقطاب تتمثل في :

قطب القطيعة	قطب البناء	قطب المعاينة(الملاحظة)
-مع الأفكار المسبقة -وضع حد للبديهيات الخاطئة: الاديولوجياتمع كارل ماركس (الأفكار المسبقة مع ريمون بودون) (علم الاجتماع العفوي مع بيار بورديو) . -العادة طبيعة ثانية ...	- البناء بواسطة العقل . -نموذج التحليل(شبكة تحليل) -تكون هذه القطيعة ضمن تصور نظري معين قادر على التعبير عن المنطق الذي يفترضه الباحث.	-الملاحظة أو التجربة في الواقع. -تحقيق الاقتراح بواسطة معطياتمستقاة من الواقع العيني.

[7]QUIVY Raymond, CAMPENHOULDT Luc Van :Manuel en sciences sociales, édition Dunod Bordas, Paris,1980

المرحلة الأولى:سؤال الانطلاق

-خاصية الوضوح (محدد)

-خاصية الاستعمالية (واقعي)

-خاصية الوجاهة (سؤال صحيح غايته الشرح أو الفهم بدلا من الغاية الأخلاقية أو الفلسفية)

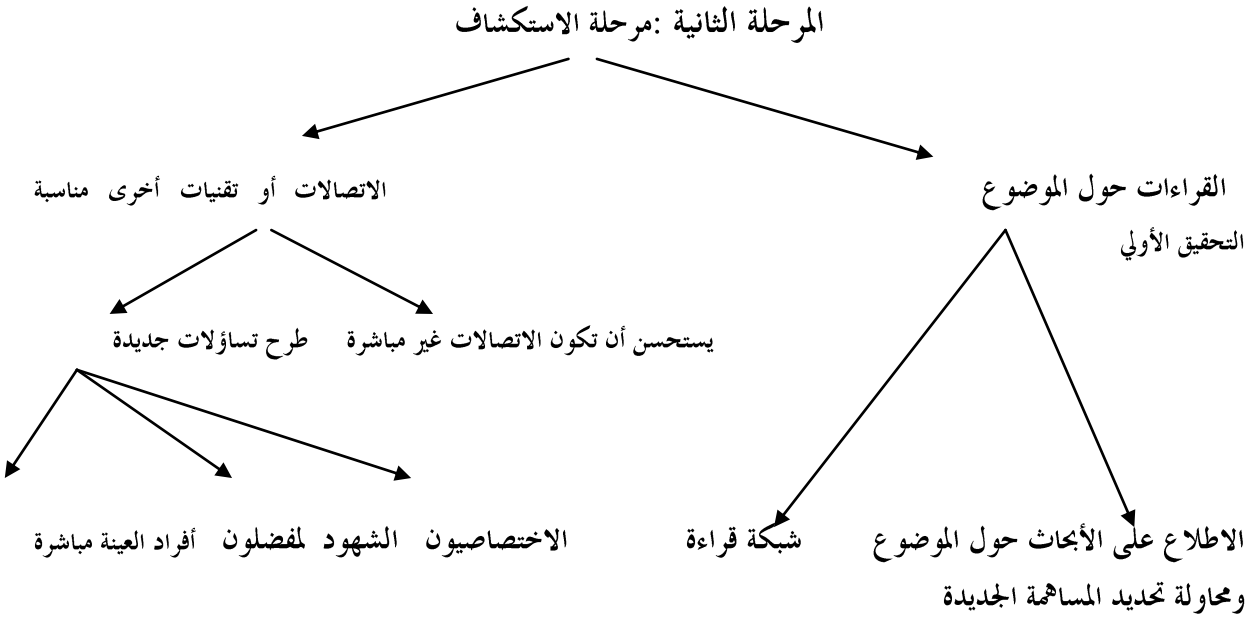

يساعد هذا العمل الأولي أساسا الباحث على إعادة طرح سؤال الانطلاق بطريقة تأخذ بعين الاعتبار هذه المعلومات المحصل عليها من خلال الاستكشاف.

المرحلة الثالثة: الإشكالية

-ضبط مختلف المقاربات ومن ثم إبراز التقاطع والتعارض الموجودة بينها

-إدماج العمل الشخصي في ظل أحد الأطر النظرية الموجودة(الإطار النظري الخصوصي)

-شرح الإشكالية(تقديم المفاهيم الأساسية،إنها الأساس الذي يرتكز عليه البحث والذي يبرز نموذج التحليل والفرضيات التي ستخضع للواقع)

الفرضية:هي مقترح مسبق لعلاقة بين ظاهرتين أو مفهومين تتطلب التأكيد من صحتها بواسطة المعاينة

المرحلة الرابعة:بناء نموذج التحليل

يكون هذا النموذج تبعية منطقية للإشكالية وذلك من خلال الشكل الإجرائي المتمثل في المسالك التي سيتخذها الباحث (المرور من المجرد إلى الواقعي ، انه البناء الانتقائي للباحث).

المرحلة الخامسة:المعاينة (الملاحظة)

-تحديد حقل المعاينة

– تصور وتحديد أداة المعاينة

–اختبار وسيلة المعاينة

– الشروع في جمع المعطيات

المرحلة السادسة: تحليل المعطيات

-وصف وتحضير المعطيات للتحليل

- قياس العلاقة بين المتغيرات

- مقارنة النتائج المنتظرة والنتائج المحصل عليها
- - البحث عن معنى هذا الاختلاف

– المرحلة السابعة: الاستنتاجات

- تقديم النتائج بإبراز أساسا (المعلومات الجديدة
- ما يترتب عنها واقعيا
- الأسئلة المستقبلية

المحاضرة الثالثة :

المراحل الأربعة في البحث العلمي حسب ريمون بودون[*]: (Raymond BOUDON)

1-تحديد الفرضيات

تكثر الأزمات الاقتصادية من نسبة الانتحار

2-بناء خطة الملاحظة

يستعمل عالم الاجتماع نوع من المعطيات حسب الوضعيات، مثلا إحصائياتالمحاسبة الاجتماعية أو كما فعلZNANIECKI في دراسته حول اندماج الفلاح البولندي المهاجر إلى الولايات المتحدة ،المراسلات، وثائق حول السيرة، حلل مختلف الأفعال العادية وكذا الاطلاع على وثائق المحاكم ومحافظات الشرطة.

3-بناء المتغيرات

يبقى الباحث مطالب بترجمة المفاهيم إلى خطوات بحث محددة أي المرور من التعريف المجرد للمفاهيم السوسيولوجيةإلى تحديد خواص واقعية.وتتمثل هذه الترجمة في تحديد الأبعاد ومن ثم استخراج المؤشرات من هذه الأبعاد.

4-تحليل العلاقات بين المتغيرات

بعد بناء المتغيرات، يشرع الباحث في تحليل العلاقات بينهم. تعد هذه العلاقة في أغلب الأحيان نقطة بدء الأبحاث العلمية.وهنا نحن أمام موقفين أوضحتهما عدة أبحاث، فمنها من أقرّت **بالعلاقة السببية** la cause(relation de causalité)كأن نقول مثلا كما لاحظ لمبروزو(LOMBROSO) علاقة نسبة الانتحار ودرجة الحرارة أي أن درجة الحرارة هي السبب.

[*]Voir BOUDON R. Les méthodes en sociologie, Paris, PUF,1973.

الموقف الثاني:الشرح العلمي و**نظام العلاقات السببية**(Explication et système causale)

يلاحظ ايميل دوركايم حسب ريمون بودون أن الأيام الأكثر حرارة هي الأيام الأطول مدة والأكثر نشاطا بخصوص الحياة الاجتماعية. من هنا توصل أ. دوركايم إلى أنه لا يمكن شرح العلاقة الإحصائية بين متغيرين إلا إذا أدمجا في نظام سببي.

ظواهر فضائية كونية فئات اجتماعية(فريق صغير)

↓ ↓

درجة الحرارة إيقاع الحياة الاجتماعية

↓

نسبة الانتحار

- يبرهن عن العلاقة بين الانتحار وطول اليوم.

المحاضرة الرابعة والخامسة: مسألة جزئية التصوير (القاعدة الابستيمولوجية):

لنذكر دائما بالفكرة القائلة أن لا معنى للجانب التطبيقي (المعاينة الميدانية) خارج نموذج تحليل مرتبط بواقع عيني وليكن الواقع الجزائري الذي يهمنا أكثر من غيره بصفتنا جزائريين ليس إلا.وللبرهنة والتأكيد على الخيط المنير لما نريد التركيز عليه، التعريج على كتابين أصبحا مرجعية معتمدة؛ ففي حوصلته للبراديغمات الأساسية يُقر "فرانسوا دبي" (Dubet.F) بأن علم الاجتماع ينقسم منذ نشوئه وبخاصة في فرنسا إلى ثلاثة براديغمات كبرى نجملها فيما يلي[8]:

أ-**علم الاجتماع النقد والتعرية** والذي ينحصر موضوعه الرئيس في ميكانيزمات الهيمنة الرأسمالية وأشكال السلطة،يمثل هذا التوجه بمختلف فروعه كل من لويس ألتوسير وميشال فوكو وبيار بورديو.

ب-**علم الاجتماع عقلنات المجتمع**، يتمحور موضوعه الأساس حول الحكامة الحسنة ويمكن ذكر على رأس هذا التوجه كل من مشال كروزي وريمون بودون.

ج-**الجمع بين مشروع معرفي مع قدرة التدخل المباشر** على الفاعلين مع "ألان توران". لا بأس هنا أن نعرف بهذا التوجه في فكرته الجوهرية في حدود ما أمكننا فهمه، فالباحثين يضعون الجماعات المعنية بالبحث في وضعية بهدف تحليل أفعالها الذاتية، أي شكل من أشكال التحليل الذاتي.ويتم ذلك على أساس جمع الخطابات المبدئية التي يفترض إتباعها أكثر مما هو متعلق بما يقرون القيام به فعليا. يرى هذا التوجه أن دور الباحثين ليس القيام بتنبؤ أو تكهن، ولكن تزويد الفاعلين بموارد معرفة من أجل تغيير العالم.

[8] -DUBET François, A quoi sert vraiment un sociologue ? Ed. Armand Colin ,2011.

– المرور من المجرد إلى التجريبي: ما معنى أشكلة المواضيع؟

نقصد بالأشكلة ذلك الانتقال من الموضوع المعطى إلى الموضوع المبني بعد الاختيار الوجيه والمستقل. من المعلوم أن شبكة التحليل تنظر للواقع المعيش بواسطة منظار خصوصي كما سلف الذكر؛ فعلى سبيل المثال وبالنسبة للجزائر يرى "جمال غريد" بخصوص هذه المسألة الابستيمولوجية: "أن الأشياء لا تسير في الواقع حسب هذه الثنائية (تقليد/حداثة) المجردة، إذ لا يوجد في المجتمع الواقعي هذا التقسيم البسيط والميكانيكي. لذا يكون من الأصح القول أن الحداثة والتقليد توجد في التوجهين ولكن طبعت كل واحدة منهما بوجهها المهيمن، ففي الحقيقة وجدت الحداثة والتقليد تقريبا في كل مجموعة بل وحتى في كل شخص"[9].

تعني هذه المقولة أن على الباحث توجيه اهتمامه العلمي للمعطيات المحددة بل للمنطق الذي يجعل من هذه المعطيات شبكة من العلاقات تشتغل بكيفية معينة؛ بكلام أخر نريد القول أنه من الضروري الإيمان ومن ثم إدماج العمل البحثي في إطار رؤية وشبكة تحليل وإلا تعذر علينا الكلام أصلا عن معرفة علمية؛ ولكن ونحن ندرك جيدا أن هناك شبكات تحليل عديدة ومتنوعة، تقارب كل واحدة منها الواقع من خلال زاويتها الخصوصية وبالتالي ما قد تراه إحداها أساسي وفيصل ومن ثم تأخذ به، تراه أخرى ثانوي يجب تجنبه لأنه لا يحيل على ما هو جوهري، من هنا جدير الإشارة إلى أن: "لا يعد المفهوم وصفا للظواهر الواقعية ولكنه عملية ذهنية تساعد على إرجاع بعض النظم للظواهر واضحة، كحياة المؤسسات... يتكون المفهوم العلمي في حد ذاته من خلال الربط بين مكوناته شبكة نظرية مفادها جعل الظواهر مفهومة"[10].

---

[9]- Voir GUERID. D.L'Exception Algérienne: la modernisation à l'épreuve de la société, Ed. Casbahs, 2007.

[10]CAMPENHOUDT L.V, Introduction à l'analyse des phénomènes sociaux, Ed.Dumond, PP161-168.

غير أنه من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هناك أصوات أخرى حتى وإن نحن نخالفها الرأي، تنادي بإمكانية دمج مجموعة من البراديغمات في تحليل الظاهرة الاجتماعية، ومن هذه الظواهر "الجندر"، وفي هذا السياق يرى "كلود دوبار" أنه: " قد يصبح موضوع الجندر براديغم جديد بل أكثر من هذا، براديغم يجمع بين البراديغمات الأربعة السابقة (الوظيفية، التنازعية، الفردانية الفهمية والتفاعلية).كما يمكن تناوله بواسطة سوسيولوجيا جامعة (متعددة) تربط بين مختلف مستويات الظاهرة وتجمع بين البراديغمات... ولكن لم تحصل هذه الحركة –هذا سبب حذري- بعد ضمن هذا التخصص، لا على انقشاع (رؤية) كبير ولا على شرعية قوية"[11].

[11]DUBAR Claude, Faire de la sociologie :un parcours d'enquête, Ed. Belin,2000, PP161-162-168.

المحاضرة السادسة والسابعة:

البعد الايبستيمولوجي والمنهجي عند الأساتذة الثلاثة[12]:

- **فرضية مسيروSNS:** تفترض النظرة السائدة بهذه المؤسسة فرضية بحث مفادها أن **المحيط** (الإدارة، البنوك، الجمارك، الحزب الواحد...) يعيق تحقيق الأهداف التي سطرتها SNSمن حيث عدم مسايرته لمتطلبات المؤسسة.انه شكل من أشكال العداء للمؤسسة من قبل المحيط السياسي والاقتصادي والإداري والاجتماعي،سوء التنظيم والنقص في المعرفة.

-فرضية الباحثين الثلاث: يفترضون أن الصعوبات التي يواجهها التصنيع في الجزائر مرتبط بالفلسفة الموجهة لحركة التصنيع والتنمية لأن حسبهم تتوجه النظرة السائدة لدى مسيري SNSإلى معالجة جانب واحد قد لا يكون الجانب المحدد، إذ يبقى المحيط عنصرا عابرا ومؤقتا بينما تعد **التناقضات الداخلية** للجماعة المكلفة بالتصنيع العنصر البنيوي الثابت والدائم.

الجماعات الأساسية هي: القطب الأول: الفئة التقنوقراطية والليبيرية والشعوبية.

القطب الثاني:الفئة التقليدية(الارتكاز على الشخصية والهوية).

توضح هذه الدراسة أننا أمام إشكاليتين مختلفتين تماما إذ ما تراه الأولى أساسي، تعتبره الثانية ثانوي والعكس صحيح. يفرض تبني الإشكالية الأولى توجيه البحث بناءً على فرضيتها نحو المحيط بمختلف مكوناته، في الوقت الذي يفرض تبني الإشكالية الثانية توجيه البحث نحو التناقضات الداخلية للجماعة المكلفة بالتصنيع؛ إنهما إشكاليتين بفرضيتين وتوجهين متباينين بل متوازيين إلى أقصى حد ممكن؛ ذلك يعني ضمنيا أن عملية النجاح تقتضي بالنسبة للأولى إصلاح المحيط بينما ترمي الثانية إلى تعدي التناقضات الداخلية القائمة.

[12]EL KENZ Ali et autres, Industrie et société : le cas de la SNS, Avril 1978-Juin 1982

-علي الكنز:

يفترض بخصوص "مركب الحجار" أن التلاقي الذي أقيم انطلاقا من الأشكال التنظيمية "من النوع التيلوري" وجد نفسه بسرعة لا يتماشى والتنظيم العام للمجتمع بعامة ومنطقة مدينة "عنابة" بخاصة بحيث أنه أثار مقاومة متنوعة من لدن جماعة العمال كالتخلي عن منصب العمل بعد التكوين، الغيابات وعدم الانضباط إلى آخره.

يتطلب توجيه البحث من خلال هذه الفرضية إلى التباين داخل التحالف بين جماعتين متميزتين بمنطقين متناقضين، المنطق البيروقراطي المتهافت على علاقات السلطة والمنطق التقنوقراطي المبني على أساس العقلنة الاقتصادية وكيفيات ترجمة هذا التناقض داخل المؤسسة.ضروري الإشارة إلى أن الباحث وبعد الانتهاء من دراسته الأكاديمية توصل إلى صياغة إشكالية جديدة للتنمية في الجزائر بخاصة والعالم النامي بعامة مفادها أنه من غير الممكن تحقيق إستراتيجية تنمية جديدة دون الربط العضوي بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين (العمال، التقنيين والمهندسين...) والمهام المنوطة بهم تقنيا واجتماعيا ومن ثم تحقيق التضامن بخصوص المصير المشترك.

-أطروحة الثنائية الثقافية مع جمال غريد:

ينطلق الباحث من السؤال التالي: هل التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري أنتجت كما حدث في أوروبا الغربية في القرن 19 والاتحاد السوفياتي في القرن 20 المجتمع الصناعي الحديث؟ يجيب بالطبع لا.

الإشكالية: يعد الاستعمار الفرنسي للجزائر والحضارة الصناعية التي حملتها في طياته إلى جانب علاقة المجتمع بهذا الاستعمار (المقاومة والتكيف) العنصران اللذان طبعا في العمق المجتمع ويشرحان بالأخص لماذا يعيش كل من المجتمع والنخبة حاضرا في التمايز والتعارض الثقافيين.

وبما أنه يجيب بالنفي عن سؤال الانطلاق حاول بالطبع تحديد الأسباب الرئيسية، وقبل هذا يقدم مثالا عن هذا الفشل تمثل في الإقبال على ما اصطلح عليه بإعادة هيكلة المؤسسات والتي هدفت في المقام الأول حسبه، إلى التخفيف من وزن المؤسسات الكبرى ومن ورائها تقليص سلطة مسيريها.

جدير بالذكر أن "غريد" يتحفظ بقوة اتجاه التفسيرات العديدة التي قدمت لفهم ما حدث ويحدث للجزائر وبخاصة في فترة التسعينيات، إذ يعتقد أنها ركزت كل واحدة فيما يخصها على عنصر واحد، فمنها من أرجعت صعوبة تعدي الوضع الحالي إلى **عنصر الدين** وما يحمله من عنف كما أقر البعض الآخر **بعنصر الاقتصاد** الموحي بإعادة التوزيع اللامتساوي في حدود غير معقولة للريع إلى جانب الظروف المأسوية التي ألحقت بالجماهير الشعبية الواسعة، كما ذهب فريق أخر إلى التعليل **بالعنصر السياسي** لنظام حكم لم يترك مكانا للتعبير إلى المواطنين.

لقد تكلم "غريد" عن الاستثناء بمعنى محدد وفي مجال محدد إذ يعد بالنسبة إليه أن ما حدث في الجزائر لم يحدث في أي دولة عربية أخرى بخصوص طبيعة الفعل الاستعماري وما نتج عنه من ثنائية.

– الفرضية القاعدية:

بغض النظر عن كل العقلنات التي تقدمت بها النخب يبقى المشكل الأساسي مطروحا و متعلقا بمشكلة السلطة في المدينة، و هنا يصب "غريد" اهتمامه أساسا على مدينة "الغزوات" بولاية تلمسان، هذه الأخيرة التي كانت من بين عينة الدراسة التي أجريت بالوحدة الإنتاجية للحديد و الصلب.ومهما يكن من أمر، فلا يمكن للمؤسسة فرض سلطتها على المدينة (المستوى المحلي) إلا إذا استطاعت الفئة التصنيعية فرض سلطتها على الفئات الأخرى في هرم السلطة.إن سلطة المؤسسة ما هي إلا سلطة من بين السلطات العديدة في المدينة،إذ يمكن ذكر من أهمها السلطة التنفيذية للدولة (الدائرة)، السلطة الاديولوجية والسياسية (حزب جبهة التحرير)،– جهاز الحزب الواحد أنذاك– السلطة المنتخبة(المجلس الشعبي البلدي) والسلطة غير الرسمية(أعيان المدينة)، ونظرا للتعارض

بين المؤسسة والمدينة يبقى السؤال متمثلا في من هو سيد المدينة؟يظهر بخصوص هذه المسألة أن الإجابة هي لصالح المدينة.

نلاحظ أن "غريد" يبني هذه الفرضية على أساس مصطلحين أساسيين هما العقلنة والسلطة في المدينة. يوحي المصطلح الأول بأن لكل نخبة عقلنتها الخاصة، هذه العقلنة المرتبطة ارتباطا وثيقا بمن يمتلك السلطة ومن ثم ترجمتها في المدينة أي على **المستوى المحلي بصفته مكون من مكونات المجتمع** ويخص بالذكر هنا المؤسسة الصناعية والجامعة علما أنه ركز البحث في دراسة المؤسسة أولا لأن الجامعة في حد ذاتها سخرت لصالح المؤسسة الصناعية.

وللبرهنة على ما سبق حاول إعادة تأسيس منطق الخطاب التصنيعي كما تابع ترجمته على أرض الواقع، لذا تعامل مع التصنيع كما تصوره أصحابه أي كوسيلة أساسية، هدفوا من ورائها تشييد مجتمع جديد ركيزته تثاقف الجزائريين، أي تحويلهم إلى منتجين ومستهلكين عقلانيين. ولكن لا يجب إغفال أن هذه العملية هدفت أيضا ولو بصورة خفية إلى محاولة نزع من أيادي جماعة اجتماعية-التقليدية- وسائل هيمنتها لصالح جماعة أخرى- الحداثية.

إذا كان لنا وصف الفئات الثلاثة - النخب- قلنا مع "غريد" أن هناك الفئة **الغربية الليبرالية** التي يبقى بالنسبة لها من الأهمية بمكان الإبقاء على الارتباط القوي بالجامعة الفرنسية كشرط للحفاظ على المستوى الثقافي والعلمي العاليين ومن ثم يمكن الإشارة أيضا إلى الامتثال لقواعد اقتصاد السوق. كما أن هناك الفئة **العربية السلامية** التي تعتبر أن إعادة إحياء الشخصية الوطنية — الهوية- عملا ضروريا لإعادة الاندماج في التاريخ والثقافة العربية الإسلامية. وفي مقابل هاتين الفئتين تبقى الفئة **التصنيعية** الفئة الصاعدة آنذاك وصاحبة القرار الاقتصادي إلى حد كبير و التي طرحت المسألة على أساس وجودها من عدمه، أي إما نجاح التصنيع أو فقدان وسائل فرض مشروعها، بحيث أن لكل فئة من الفئات الثلاثة مشروعا اجتماعيا و ثقافيا خاصا متباينا ومنافسا غير قابل التنازل عنه و حتى التفاوض مع الغير عليه.

سعيد شيخي:يقترح الباحث إشكالية بتوجه جديد مفاده أن نمط حياة الفاعلين الاجتماعيين، طريقة عملهم، تصوراتهم، سلوكياتهم، التحولات التي كانوا عرضة لها وأمانيهم تؤسس للتناقضات العديدة الداخلية للبنية الاجتماعية التي هي في طور التكوين، وفي هذا الإطار تظهر هذه الأخيرة بمثابة سيرورة أضحت تنشر على مستويين؛ مستوى الميكانيزمات الاقتصادية والسياسية ومستوى العلاقات المعقدة التي ينسجها الفاعلون الاجتماعيون مع النظام التقني للإنتاج، علاقاتهم بالأجهزة التي تتكلم باسمهم (النقابة وغيرها) والشبكة المؤسساتية التي تحدد الإطار الذي يسمح لهم بالتعبير عن رأيهم وكذا سلوكياتهم، الكيفيات والمعايير المتخذة لحثهم على العمل ووعيهم بأنفسهم وبالآخرين وبالمجتمع؛ إنها الدراسة **الواقعية الميدانية** للعلاقات الاجتماعية في الجزائر بخلاف ما يتخيله البعض أو كما تمليها الاعتقادات الإيديولوجية.

2.1.ما تبقى من الباحثين المعتمدين في الكتاب(بشير محمد)

-**جيلالي ليابس: الإشكالية:** يقترح في مقابل الوصف والتحليل التيبولوجي، أي القطاع العمومي في مقابل القطاع الخاص، الصناعة الثقيلة في مقابل الصناعة الخفيفة، تعويض هذه الإشكالية بأخرى إجمالية، تمنح الأماكن، الوظائف وبعد اقتصادي واجتماعي وكذا سياسي وأيديولوجي لفضاءات التراكم ولفروع النشاط الاقتصادي كفضاءات لإعادة الإنتاج التقني والتراكم الاجتماعي الذي يجب دائما تخصيصه حسب علاقة موازين القوى وتشكل الفئات الاجتماعية.

الفرضية الرئيسية:تتمثل في الربط بين فضاء الإنتاج المسمى بـــ "المصنع" والصراعات التاريخية من أجل الهيمنة والاستحواذ على مشروع المجتمع المراد تأسيسه؛ ومع هذا لا يمكن اعتبار إيديولوجية القطاع العمومي على أنها توجه ليبرالي بمعنى أنها غير مؤسسة على الفردانية ولا على مبدأ "أتركه يفعل" بل هي مؤسسة على الجهد الجماعي للجماعة الوطنية وكذا تنظيم فضاءاتها للعمل.

أحمد هني: بخلاف الأطروحتين الأساسيتين الداعيتين إلى ضرورة القيام بالأشياء حسب مقدرتهم وطبيعتهم (أطروحة الهوية الثقافية) أو ضرورة إدخال نظام جديد من القيم المرتبطة بالمنطق

الصناعي من أجل تطوير العقليات (الأطروحة الثقافوية) يتبنى الباحث **إشكالية مغايرة** بحيث يرى أن الاشتغال السيئ لمصانع العالم الثالث لا يرجع إلى القصور في المعرفة أو في عدم التحكم في التكنولوجيا بل مرده إلى طبيعة التنظيم الاجتماعي للإنتاج بهذه المصانع وهذه المجتمعات.

الفرضية الأساسية: يفترض أن علاقة الأجرة لا تشتغل حسب النمط الاقتصادي بل تشتغل حسب نمط الجمعية الدينية.

محمد مبتول: تكمن الإشكالية العامة التي توجه هذه الدراسة في أن موضوع التنظيم "**التعاون– إكراه**" بالمصنع يعد نموذج متعلق بالعمل المأجور الذي يعتمد فيه على المبادئ القائمة في المجتمعات الرأسمالية ومن خلاله محاولة تطبيق "التيلورية" في العمل، هذا التنظيم الذي فقد معناه بالنظر إلى الواقع الاجتماعي للمصنع.

الفرضية الأساسية: يظهر تنظيم الإنتاج جليا وبكل تأكيد الانفصال بين عملية العمل النظرية المستوردة بالمصنع والممارسات السوسيو ثقافية حيز التنفيذ من طرف العمال.

الجماعة الكندية: الإشكالية:يمكننا أشكلة هذه الدراسة (نحن بشير محمد) من خلال أهم النتائج التي توصلت إليها على عكس ما يعتبره أغلبية المشتغلين في العلوم الاجتماعية من أن الثقافة الجزائرية هي بمثابة **عائق للتنمية**، وتتجسد هذه الرؤية في القول بأن الجزائريين جموحين عن العمل،أي أنهم ذي ثقافة تدعو إلى كراهية العمل ومن ثم الحشد في الجهد مما يعني أنهم لا ينشطون إلا تحت الضغط.

توحي الإشكالية التي تتحرك ضمنها"الجماعة الكندية" أن الجزائريين برهنوا في مراحل سابقة على قدراتهم القوية بخصوص ذوقهم لبذل الجهد والمثابرة في العمل بحيث كانوا منتجين متميزين في ميدان الزراعة والحرف،غير أنه ولكي يستجيبوا إلى متطلبات المثابرة في العمل ضروري وضعهم في ظروف تنظيمية مناسبة.

الفرضية الأساسية: تعد أشكال التسيير القائمة في المؤسسات الجزائرية غريبة في حدود كبيرة عن متطلبات الواقع السوسيو- ثقافي لقوة العمل.لقد تبنت هذه الجماعة من الناحية المنهجية الصرفة توظيف مصطلح التباين الثقافي بدلا من مفهوم التأخر الثقافي بحيث لخصت الفرق بين المفهومين في أن الأول لا يعني إيقاع تحولي متباين بين ظاهرتين ملاحظتين أو أكثر في إطار ديناميكية شاملة، بل يعني المفهوم المقترح فقط تلك الفجوة الثقافية بين مجموعتين من الأحداث دون افتراض أن أحدهما سيعمم على حساب اَخر وأن إحداها ستفرض ديناميكيتها على الأخرى[13].

[13]-Culture et gestion en Algérie, Daniel MERCURE (dir) ,Ed. ANEP, P17 (bas de page).

المحاضرة الثامنة :

-نماذج تطبيقية

ظهر لنا من الوجاهة بمكان تقديم التجسيد التطبيقي الذي قام به "عبد الكريم غريب" لعلم الاجتماع الفعل مع ألان توران كنموذج، نمتثل اليه في ترجمة الفكرة القاعدية لشبكات تحليل باحثينا المعتمدين. لقد انطلق "توران" من الإشكالية التالية: "تعبر المراهقة عن رفض اجتماعي وسيرورة لجواب عن هذا الرفض، فهي بناء عالم اجتماعي يكون فيه المراهق مقبولا ومعترفا به، مما يمكنه من الحصول على صورة إيجابية حول ذاته. تمنحه هذه الصورة هوية وتجعله فاعلا نشيطا. توحي هذه الإشكالية بفرضيتين:

*المراهقون فاعلون اجتماعيون ضمن علاقات اجتماعية منحلة، ويعتبر العنف والرفض لمختلف القيم رد فعل ضد التهميش.

-تخفي المراهقة سيرورة تكيف، وبذلك تكون محاولة للخروج عن المعايير القائمة من أجل إعادة بناء الذات كعنصر اجتماعي فعال[14].

- العلاقات الارتباطية بين المفاهيم أو الظواهر:

عبد الكريم غريب:

سلوك المراهق ← ضعف بنية العلاقات.

إعادة بناء ← الأفعال العنيفة

***الطرح الوظيفي** (الحداثي) في الجزائر:

الثقافة الجزائرية ← معيقة للتنمية.

[14]-عبدالكريم غريب:منهج و تقنيات البحث العلمي: مقاربة ابستيمولوجية ،منشورات عالم التربية،1997،ص57.

البحث في المعارضات، الأعمال التخريبية، العادات والذهنيات المتخلفة.

علي الكنز:

العلاقة الارتباطية: التناقض بين أشكال التنظيم "التيلوري" والتنظيم العام للمجتمع الجزائري.

جمال غريد:

العلاقة الارتباطية: *العقلنات المقدمة ←المشكل السياسي (مسألة السلطة).

*العقلنة الحداثية ←على المستوى الكلي (المجتمع) الصراع بين النخب.

*العقلنة الشائعة ←على المستوى المحلي (المدينة): المؤسسة الصناعية، أعيان المدينة، الجهاز الإداري (البلدية، الدائرة) والجهاز السياسي (حزب جبهة التحرير الوطني).

سعيد شيخي:

العلاقة الارتباطية: نمط حياة الفاعلين ←والتناقضات الداخلية للبنية الاجتماعية.

-العلاقات المعقدة ←والنظام التقني للإنتاج.

-كيفيات الحث عن العمل والوعي بالنفس وبالآخرين وبالمجتمع.

جيلالي ليابس: العلاقة الارتباطية بين:

*فضاء الإنتاج ← والصراعات التاريخية.

*القطاع العمومي والجهد الجماعي للجماعة الوطنية.

محمد مبتول: العلاقة الارتباطية بين:

*تنظيم الإنتاج النظري والمستورد ←والممارسات السوسيو ثقافية حيز التنفيذ بالمصنع.

*المنطق السوسيو سياسي يؤدي إلى التغيب كشكل من أشكال المقاومة لدى العمال.

أحمد هني: العلاقة الارتباطية بين:

***اشتغال النمط الاقتصادي** ←— اشتغال نمط الجمعية الدينية.

*الاستغلال السيئ للمصانع ←— وطبيعة النظام الاجتماعي للإنتاج.

الجماعة الكندية: العلاقة الارتباطية بين:

*أشكال التسيير القائمة ←— ومتطلبات الواقع الجزائري.

*المثابرة في الجهد والظروف التنظيمية المناسبة.

بشير محمد: العلاقة الارتباطية:

الثقافة المحلية ←— الثقافة الغربية (الدخيلة).

الدين الإسلامي ←— اللائكية.

الجماعية (التضامن) ←— الفردانية.

الجهوية ←— المواطنة.

السداسي الثاني

المحاضرة الخامسة و السادسة :بعض أهم الإشكالات المنهجية لدى الطلبة

نحاول الإجابة على الأسئلة التي تراود الطلبة بعامة و الطلبة الدكتوراليين بخاصة و بعض الأساتذة الشباب، هذه الأسئلة تجلت في شكل ملاحظات و استفسارات لحظة تقديم مضمون هذا الكتاب. ويمكن حصر هذه الأسئلة العديدة المرتبطة أساسا بالجانبين المنهجي و الإبستمولوجي فيما يلي:

-هل الإشكالية تعبرعن تناقض يلاحظه الباحث في الواقع الاجتماعي؟

-هل يمكن الاستغناء عن الفرضيات عند إجراء البحث السوسيولوجي؟

-هل يمكن توظيف أكثر من منهج (نموذج تحليل) في البحث الواحد؟

-هل الظواهر الملاحظة في الواقع هي التي تفرض علينا نموذج التحليل المناسب؟

-ما معنى طبيعة الموضوع تفرض طبيعة المنهج؟

-هل ما يمتثل إليه الباحثون الكبار (المعترف بهم) يطبق على الباحثين المبتدئين (الدكتوراليين مثلا) الامتثال بنموذج تحليل واحد؟

نظرا للأهمية الكبيرة التي تحتلها الأداة داخل منهج البحث العلمي،إننا نلاحظ يقول "عبد الكريم غريب" نوع من الخلط بينهما، إذ أصبح الكلام عن الأداة بمعنى المنهج:

-المنهج الوصفي (الملاحظة)

- المنهج التجريبي (التجريب)

- المنهج الإكلينيكي(المقابلة)

- المنهج الإحصائي (الوصف أو التحليل الإحصائي)

- المنهج التاريخي (تحليل المضمون)

- عينة البحث أو مجتمع البحث: تمثل العنصر الأساسي الذي سيقام عليه البحث والتحليل

- الملاحظة:أداة لجمع المعطيات لاختبار الفرضيات

- الاستمارة:تتكون عادة من مجموعة من الأسئلة المرتبة بشكل منطقي

- المقابلة: تتميز بالخصائص نفسها للاستمارة إلا أن أسلوبها شفهي

- التجريب:يفيد في عملية التعرف على المتغيرات المستقلة المسؤولة عن حدوث الظاهرة

- الإحصاء: هو أداة في عملية تكميم النتائج و مقارنتها

*** من بين أهم أشكال العينات:**

الحصصية/ العمدية /التجريبية / الضابطة /العشوائية /العشوائية المنتظمة /الطبيعية /المساحية ...[*]

يلاحظ القارئ لهذا الكتاب أننا أبدينا رأينا في جميع هذه التساؤلات و الاستفسارات و لو بطريقة غير مباشرة في بعض الأحيان. ترتبط حوصلتنا المباشرة هذه استجابة لرغبة طلبتنا للمساهمة في فك لغز هذه الإشكالات، و من تم توضيح الرؤية حسب وجهة نظرنا الخاصة. نعتقد أننا لا نختلف مع المهتمين بالأمر، إذ قلنا منذ البداية أن الإجابة عن هذه المسائل تتطلب مقالات بل كتب حتى تستوفي حقها. لذا نحن واعون بثقل المهمة و مع هذا سنغامر مقتصرين على لملمة بعض العناصر الوجيهة التي قد تساعد في إنارة و تعبيد الطريق لتجاوز الإشكالات المطروحة.

أ/ تختلف الإشكالية عن التناقض بل وحتى عن المفارقة إذ أن التناقض و المفارقة يوجدان في الواقع العيني، أي أنهما موضوعان معطيان في حين أن الإشكالية هي بناء نظري و من ثم فهي

[*]عبدالكريم غريب:منهج و تقنيات البحث العلمي:مقاربةابستيمولوجية، المرجع السابق.

موضوعا مبنيا. ويعني البناء النظري طرح الحدث الاجتماعي أو الثقافي في ظل مقاربة نظرية معينة.

ب/ نعتقد أن الجدل القائم المتمثل في الانطلاق من العقل أو الارتكاز على التجربة هي مسألة قديمة جديدة تحيل إلى المنهج الاستقرائي (induction) و المنهج الاستنباطي (déduction). و لكن مع تقدم وتراكم المعرفة في الميدان الإبستمولوجي أصبح هذا الجدل على ما يبدو عقيما بل و تعداه الزمن. و في هذا الصدد يقول عبد الكريم غريب:» في حين يظل المنهج التفاعلي من المناهج التي تأخذ بعين الاعتبار كل التفاعلات المحتملة بين عمليتي الاستقراء و الاستنباط، فان المعرفة تتكون عن طريق تفاعل كل من الذات و الموضوع، والأسبقية هنا، تصبح أمرا غير وارد»[15].

لقد ذكرنا سلفا مع كل من «ألان توران» تأكيده على ضرورة التقيد بالفرضيات و «بيار بورديو» الذي يرى أن التحقيق الميداني يعد أيضا علاقة اجتماعية والركيزة الأساسية لطبيعة المعطيات المجمعة. و « كلود دوبر « و هو يحث على ربط الملاحظات بالمفاهيم و الفرضيات.

ج/ لقد أبرزنا فكرة سايرت قسمي الكتاب تمثلت في عدم إمكانية توظيف أكثر من نموذج تحليل في بحث واحد، ذلكأن كل بحث علمي من الضروري أن يمتثل للقاعدة الإبستمولوجية القائلة بجزئية التصوير للواقع. من هنا نفهم «الأشكلة» (problématisation) الإشكالية والفرضيات) على أنها تختلف من نظرية إلى أخرى و يظهر ذلك جليا منذ طرح سؤال الانطلاق. يعبر سؤال الانطلاق –حسب وجهة نظرنا– على الزاوية الخصوصية التي يعالج من خلالها الباحث موضوع بحثه. لقد وضحنا هذه المسالة استنادا إلى كل من « فراسوا دوبي « من خلال جرده للتوجهات السوسيولوجيةالكبرى.كما يمكننا ذكر في السياق نفسه كل من" جمال غريد" حين أكد أن الأشياء لا تسير في الواقع المعيش حسب تلك الثنائية المجردة. لذا نبهنا على أن محاولة حل المسائل العلمية الخلافية يتطلب ضرورة الاستناد على المفكرين اللذين يمثلون مرجعيات فكرية و

[15] غريب عبد الكريم، مرجع سابق، صص.28/29

المتمرسين في تخصصاتهم بدلا من الاعتماد على الهواة و حتى المبتدئين. فحتى» كلود دوبر» يعترف بمحاولته العصية التي لم ينجر من وراءها الآخرين و المتمثلة في توظيف أكثر من منهج لمعالجة ظاهرة الجندر.

د/تراود الطلبة و حتى بعض الأساتذة الشباب فكرة الامتثال من عدمه لما امتثل إليه الباحثون الكبار حين استقروا على منهج واحد، و حول هذه النقطة كان ردنا بسيطا جدا، إذ لاحظنا أولا أن هؤلاء الأساتذة –الرعيل الأول– لم يتعد الثلاثينات آنذاك و ثانيا على الطالب الدكتورالي بل حتى الطالب في مستوى التدرج أن تكون لديه رؤية خاصة به منذ التحاقه بالجامعة على اقل تقدير و في ذلك سبل عديدة و متنوعة، بمعنى آخر نريد القول إنه ليس هناك مرحلة عمرية قد تكون بمثابة سقف نندمج وقته في ظل نموذج تحليل. و لكن ذلك لا يعني على الإطلاق أنه لا يمكن استغلال نتائج أبحاث في ظل نماذج تحليل أو فروع علمية أخرى، إما للتدليل أو للمناقشة أو حتى للاعتراض بل بالعكس تستحسن مثل هذه الوقفات التي يصطلح عليها بالمفاتيح النظرية ناهيك عن موقعة العمل الشخصي في إطار إشكالية تحدد درجة التطابق و الاختلاف للعمل الشخصي مقارنة مع أبحاث أجريت في ظل إشكاليات أخرى.

ه/يقال أيضا إن الأحداث الاجتماعية الملاحظة في الواقع هي التي تفرض علينا المنهج المناسب، نذكر في هذا الصدد أن الأحداث الاجتماعية هي مواضيع معطاة و ليست مبنية، و على هذا الأساس يصبح من غير المعقول طرح مثل هذه الأسئلة أو الاعتقاد في هذه الفكرة المجانية للصواب. إن الباحث لا يملك ترسانة من المناهج يشهر أحدهما حسب الوضعيات التي تواجهه لأن الأمر يتعلق بقناعة علمية واحدة و وحيدة (نموذج تحليل) ينظر من خلالها لجزء من الواقع المعيش يراه أكثر وجاهة – كما سبق الإشارة إلى ذلك من قبل.

ه/و غالبا ما تردد مقولة» طبيعة الموضوع تفرض طبيعة المنهج» دون الإدراك الحقيقي لتجلياتها العلمية. أجل نحن نساير هذه الفكرة ولكن لاحظنا أن هناك تباين في المعاني المعطاة لها. –فمن

وجهة نظرنا- نقول وباختصار شديد، بما أن طبيعة الموضوعتعني أساسا الموضوع المبني بمعنى الموضوع المؤشكل، فبالضرورة هو مبني في ظل منهج (نموذج تحليل) وبالتالي يصح الجزء الثاني في المقولة: إن جوهر هذه المقولة لازمنا طوال هذه الحوصلة.

نقتصر على فكرة مهيمنة عند الطلبة و التي تشكل اعتراضا لدى بعض الأساتذة بما فيهم بعض البارزين من الجيل الأول أي قصور براديغم « بيار بورديو « في الميدان التربوي بخصوص الجزائر، الداعي إلى أن هناك علاقة ارتباطيه بين الأصل الاجتماعي و ظاهرة النجاح أو الفشل (التسرب) المدرسي، بمعنى إذا كان التلميذ (الطالب) من أصل اجتماعي غني، كان مصيره المحتوم النجاح و إن كان من أصل اجتماعي فقير ، كان مصيره الفشل (أو الهدر). يعترض على هذه القاعدة بالقول إنها غير فاعلة في استقراء حالة المجتمع الجزائري، و دليله على ذلك أن أبناء الطبقات الشعبية متواجدون بقوة في الجامعة الجزائرية و كذا المعاهد العليا.

تظهر الملاحظة المباشرة التي لا تدع مجالا للشك قصور القاعدة النظرية» لبيار بورديو» و لكن تبقى قناعتنا الشخصية مخالفة تماما لهذا التوجه المهيمن. نعتقد أنه قبل الحديث عن النجاعة من عدمها من الضروري الانتباه و الحسم في الملاحظات التالية:

ـ لا يعتبر المفهوم نسخة مطابقة للأصل للواقع المعيش بمعنى أن الواقع يظل دائما أوسع بجزئياته من المفهوم الذي هو عبارة عن تجريد نظري (عقلي) للواقع نفسه.

ـ لقد تكلمنا سابقا عن مسألة توطين المفهوم الذي هو وليد بيئته أي أنه ذو علاقة مع خصوصيات و مميزات المجتمع الذي نحته، و كنا في هذا الصدد قد قدمنا بعض الأمثلة نذكر أهمها:

- تعويض مفهوم المؤسسة الاقتصادية بمفهوم المؤسسة الاقتصادية والاجتماعية مع"علي الكتر"، فك مفهوم الأنوميا إلى أنوميا جزئية وأنوميا كتلية مع "نذير معروف" وتعويض مفهوم المثقف العضوي بالمثقف الموظف والمثقف التقليدي بالمثقف المقلد مع "عبد القادر جغلول"عندما يتعلق الأمر بالمجتمع الجزائري.

-يظهر أنه من الضروري ربط تلك العلاقة بطبيعة و خصوصية المجتمع الجزائري وما أقبل عليه من ديموقراطية للتعليم، كما يمكن التساؤل عن الأصل الاجتماعي للطلبة وتراتبية الشعب العلمية الملتحق بها من جهة أخرى.